obeikandl.com

الفتـــيّ السعيد

هذه الترجمة الكاملة لكتاب

Bjørnstjerne Bjørnson

En glad Gut

بيورنستيه بيورسون

الفتى السعيد

ترجمة / **أحمد شلبي**
الغلاف / **هانيبال – هيبو**

سلسلة من كل بلد كتاب - رواية من أيسلندا
الطبعة الأولى/ القاهرة ٢٠١٠

رقم الإيداع: ٢٠١٠/١٩٧٤٧
ISBN: 978 – 977 – 6299 –18- 6

وكالة سفنكس
٧ شارع معروف الدور السابع
وسط البلد – القاهرة
ت/ف: ٠٠٢ ٠٢ ٢٥٧٩٢٨٦٥
www.sphinxagency.com
info@sphinxagency.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر، ويحظر نشر أو اقتباس هذا العمل أو أي جزء منه بأي وسيلة تصويرية أو إليكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات دون إذن كتابي من الناشر، ومن يخالف ذلك يتعرض للمساءلة القانونية

Sphinx Agency © 2010

This translation has been published with the financial support of NORLA

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

كان اسمه أويفيند و لقد بكى حينما وُلد، لكنه ضحك بمجرد أن جلس على حِجر أمه، و عندما أضيئت الشمعة في المساء امتلأت الحجرة بضحكاته، لكنه بكى عندما لم يسمحوا له بأن يمسها.

و قالت الأم: ‘‘سوف يصبح لهذا الفتى شأن عظيم!’’

obeikandl.com

و لقد كان يشرف على المنزل الذي وُلد فيه جرف أجدب غير شاهق الارتفاع ولقد كانت شجرتيّ البتولا والتنوب تطلان على السطح أما شجرة الكرز البري، فقد كانت تنثر أزهارها عليه، ولقد كانت توجد معزة صغيرة تنتمي إلى لـ أويفيند على السطح، ولقد كانوا يبقونها هناك حتى لا تشرد عنهم، و كان أويفيند يحمل أوراق الشجر و العشب إليها، وذات يوم قفزت المعزة وذهبت إلى الجرف وصعدت إلى القمة مباشرةً، ووقفت حيث لم تذهب من قبل، ولم يرى أويفيند المعزة عندما خرج عصر هذا اليوم،

وفكر في الثعلب على الفور وشعر بحرارة شديدة تعتريه وأخذ ينظر حوله وصاح:

‘‘ب س ب س..... يا معزة!’’

فأجابت المعزة: ‘‘م ا-ا-ا-ء’’ من عند حافة التل وهي تميل برأسها إلى أحد جانبيها وتنظر إلى أسفل.

وكانت هناك فتاة صغيرة جالسة على ركبتيها إلى جانب المعزة.

سألته الفتاة: ‘‘هل هذه معزتك؟’’

فتح أويفيند فمه وعينيه على وسعهما، ووضع يديه الاثنتين في جيبيّ بنطاله وقال:

-‘‘من أنتِ؟’’

-‘‘أنا ماريَت، بنت أمي الصغيرة، وكمانجة أبي، و جنية المنزل وحفيدة "أولية نورديستوين" من عائلة "هايديجاردز" وسيصبح لدي أربع سنوات في الخريف؛ بعد الليالي الثلجية بيومين؛ هذه هي أنا!’’

فصاح هو: ‘‘هذه هي أنت؟’’ وهو يأخذ نفسًا عميقًا؛ لأنه لم يجرؤ على أن يَأخذ نفسًا بينما كانت تتحدث.

واستفسرت مجددًا: ‘‘هل هذه معزتك؟’’

فأجاب وهو يرفع عينيه: ‘‘ن- نعم’’.

-‘‘لقد أحببت هذه المعزة جدًا، ألا تعطيها لي؟’’

-‘‘لا، بالطبع لن أعطيها لكِ’’.

فاستلقت مستمتعة دونَ خوف وأخذت تحدِّق فيه ثم قالت: ‘‘لكن إذا أعطيتك كعكة ملتوية بدلاً من المعزة، هل تعطيها لي إذًا؟’’

كان أويفيند ابنًا لأناس فقراء؛ ولم يذق الكعكة الملتوية سوى مرة واحدة في حياته؛ وذلك عندما زارهم جده، ولم يأكل أويفيند أي شيء يماثلها؛ لا قبل أن يأكلها ولا بعدها حتى، وثبَّت أويفيند عينيه على الفتاة.

وقال: ‘‘أريني الكعكة أولاً.

ولم تبطيء الفتاة في إخراج كعكة ملتوية كبيرة أمسكتها في يدها.

وصاحت: ‘‘ها هي!’’ ثم قذفتها إليه.

فصاح الفتى: ‘‘ياه! لقد تكسَّرت إلى قطع صغيرة!’’ وأخذ يجمع كل أجزائها بعناية فائقة، ولم يستطع إلا أن يتذوق أصغر لقمة فيها ولقد كانت شهية جدًا حتى إنه كان عليه أن يجرِّب قطعة أخرى ودون أن يشعربنفسه كان قد التهم الكعكة بأكملها.

فقالت الفتاة: ‘‘والآن أصبحت المعزة لي’’.

فتوقف الفتى وفي فمه آخر لقمة، واستلقت الفتاة مكانها، وأخذت تضحك والمعزة واقفة بجانبها بصدرها الأبيض، وشعرها البنيّ تنظر من جانب عينيها إلى أسفل.

فأخذ الفتى يرجوها: "ألا تنتظرين قليلاً؟" وبدأ قلبه يخفق بشدة، ثم أخذت الفتاة تضحك أكثر من ذي قبل ونهضت على ركبتيها مسرعة.

وقالت: "لا، المعزة لي" وألقت بذراعيها حول المعزة ثم فكَّت أحد رباطيّ جوربها وربطته حول عنقها - و أويفيند يشاهدها- ونهضت على قدميها وبدأت تجذب المعزة لكن المعزة أبت أن تذهب معها ومدَّت عنقها إلى خارج حافة الجرف ناحية أويفيند.

وقالت: "ما-ا-ا-ء".

ثم أمسكت الفتاة بشعر المعزة بإحدى يديها وجذبت الرباط باليد الأخرى وقالت بلطفٍ: "هيا بنا الآن أيتها المعزة سوف تذهبي إلى غرفة
الجلوس عندنا وتأكلين من طبق أمي".

ثم بدأت تغني لها:

"تعالي.. يا معزة الفتى الجميلة
تعالي.. يا بقرةٌ صغيرة،
يا سعادتي
تعالي.. هنا يا قطتي
ذات المواء
يا ذات الأرجل كالثلج بيضاء
البطات الصفرَاء تأتي من كوخك
تعالي إلى الأمام يا فوضوية
تعالي فالحمَام يشع وجهه فرحـًا

وأجنحته الناعمة تتلألأ!
لازال العشب مبتلاً
لكن سوف تأت الشمس قريبـًا
نحن الآن في فصل الصيف
والخريف سيكون الضيف"
وظل الطفل واقفـًا هناك، فلقد كان يعتني بالمعزة منذ الشتاء –منذ أن وُلدت- ولم يخطر بباله أبدًا أنه قد يفقدها، لكنها الآن رحلت في طرفة عين ولن يراها مجددًا أبدًا.
وجاءت الأم من الصيد بالسنارة على الشاطيء ومعها بعض الدِلاء التي كانت تغسلها، ورأت الفتى جالسـًا على العشب ورجلاه معقودتان أسفله ويبكي، فذهبت إليه.
-"لماذا تبكي؟"
-"إنها معزتي – معزتي!"
فسألته أمه وهي تخطف نظرة إلى السطح: "لماذا؟ أين المعزة؟"
فقال الفتى: "إنها لن تعود بعد الآن".
-"يا إلهي! كيف هذا؟"
لكن أويفيند لا يعترف في الحال.
-"هل أخذها الثعلب؟"
-"آه! يا ليته كان الثعلب!"
فصرخت الأم: "لابد وأنك قد فقدت صوابك! ماذا حدث للمعزة؟"
"آه -- آه – آه! لقد كنت سيء الحظ، بعتها مقابل كعكة ملتوية!"

وفي اللحظة التي تفوَّه فيها بهذه الكلمات أدرك ماذا يعني أن يبيع المعزة مقابل كعكة؛ فهو لم يفكر في هذا الأمر قبل ذلك، وقالت الأم:

"تخيل كيف تظنك المعزة الآن وأنت قد بعتها مقابل كعكة ملتوية".

ففكر الفتى مليًّا في نفسه وأحس أنه متأكد تمام التأكد أنه لن يعرف السعادة في هذه الدنيا أبدًا، ثم فكر بعد ذلك: ولا حتى في الجنة.

ولقد كان مفعمًا بالأسى حتى إنه أخذ عهدًا على نفسه بأنه لن يخطيء مجددًا؛ لن يقطع حبل عجلة الغزل، ولن يترك الغنم طليقة، ولن يذهب إلى البحر بمفرده، ثم غط في النوم وهو مستلق هناك وحلم بأن المعزة قد دخلت الجنة، وكان الرب جالسًا هناك بلحيته الطويلة -كما في كتاب المباديء الدينية[1]- ووقفت المعزة تمضغ أوراق شجرة متلألئة، لكن أويفيند جلس وحده على السطح ولم يستطع أن يرتفع أكثر من ذلك، ثم أقحم شيئًا مبللاً في أذنه فانتفض، وسمع "ما-ا-ا-ء" وكانت المعزة قد عادت إليه.

فقفز وهو يقول: "ماذا! هل عدت مجددًا؟" وأمسك بالمعزة من قدميها الأماميتين وأخذ يرقص معها وكأنها أخوه، وجذبها من لحيتها وكان على وشك أن يدخل إلى أمه بها عندما سمع أحدًا خلفه ورأى الفتاة الصغيرة جالسة على العشب بجانبه، وفهم الأمر كله الآن وترك المعزة.

[1] كتاب تعليم المبادئ الدينية بطريقة السؤال والجواب عند المسيحيين.

"هل أنت من أحضر المعزة؟"
جلست تَقطع العشب بيديها وقالت: "لم يُسمح لي بالاحتفاظ بها، وجدي ينتظرني هناك"
وبينما وقف الفتى محدقًا فيها نادى صوت حاد من أعلى على الطريق: "حسنًا!"
ثم تذكرت الفتاة ماذا كان عليها أن تفعل؛ فنهضت وسارت إلى أويفيند ووضعت إحدى يديها المليئتين بالوسَخ في يده، و قالت وهي تدير وجهها: "بعد إذنك".
لكن شجاعتها قد خانتها، فألقت بنفسها على المعزة وانفجرت في البكاء.
فتلعثم أويفيند قائلاً وهو يحول نظره: "أعتقد أنه يجب عليك الاحتفاظ بالمعزة".
وقال جدَها من عند التل: "اسرعي، الآن!" فنهضت ماريت وسارت إلى أعلى بقدمين مترددتين.
فصاح أويفيند من خلفها: "لقد نسيتي رباط جوربك" فاستدارت وألقت نظرة؛ أولاً على رباط الجورب ثم على الفتى، ثم أخذت القرار أخيرًا وأجابته بصوت مختنق: "تستطيع أن تحتفظ به".
فسار إليها وأمسك بيدها وقال: "أشكرك!"
فأجابت: "آه، علامَ تشكرني؟ لم أفعل مايستحق الشكر"، و مضت وهي تتنهد تنهيدة جديرة بالشفقة.
وجلس أويفيند على العشب مجددًا، وأخذت المعزة تتجول بالقرب منه، لكنه لم يعد سعيدًا بها كما كان من قبل.

الفصل الثاني
♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

رُبطت المعزة بالقرب من المنزل لكن أويفيند أخذ يهيم على وجهه وعيناه مثبتتان على الجرف، ثم جاءت الأم وجلست إلى جانبه فطلب منها أن تحكي له القصص عن أشياء بعيدة؛ بما أن المعزة لم تصبح كافية الآن لتبقيه سعيدًا؛ فحكت له أمه كيف أن الأشياء كلها تحدثت: الجبل تحدث إلى جدول الماء، ثم تحدث جدول الماء إلى النهر، ثم تحدث النهر إلى البحر، ثم تحدث البحر إلى السماء .. وسألها إذا ما كانت السماء لا تتحدث إلى أي أحد، فقيل له أنها تحدثت إلى السحب، والسحب تحدثت إلى الأشجار، والأشجار تحدثت إلى العشب، والعشب تحدث إلى الحشرات، والحشرات تحدثت إلى الحيوانات، والحيوانات تحدثت إلى الأطفال، لكن الأطفال يتحدثون إلى الكبار، وهكذا اكتملت حتى أصبحت دائرة ولا يعلم أحد أين بدأت. فحدّق أويفيند

في الجرف والأشجار والبحر والسماء وشعَر وكأنه لم يرهم بحق من قبل، وخرجت القطة حينها وتمددت عند عتبة الباب تحت أشعة الشمس.

فسأل أويفيند وهو يشير إلى القطة: "ماذا تقول القطة؟"

فغنَّت الأم:

"أشعة شمس المساء تتلاشى بنعومة
وعلى عتبة الباب تستلقي القطة الكسولة
فأران صغيران
دسمان، غليظان، ولذيذان
أربعة سمكات صغيرات
سرقتَهم من طبق
ممتلئة أنا جيدًا وملساء
وأصبحتُ كسولة ووديعة جدًا"

ثم جاء الديك يمشي متباهيًا وخلفه الدجاج كله.

فسأل أويفيند وهو يصفق بيديه: "ماذا يقول الديك؟"

فغنَّت الأم:

‘‘الدجاجة الأم ينخفض جناحيها الآن
و الديك واقفًا على قدم واحدة يفكر
تستطيعين أيتها الأوزة الرمادية
أن تسرعي جدًا، بالطبع
بالرغم من ذلك أبدًا لن تستطيع
أن تكون في ذكاء الديك
يقول الديك:
اذهبوا إلى بيوتكن من فضلكن أيتها الدجاجات
فلقد ذهبت الشمس لهذا اليوم لتستريح’’
وجلست عصفورتان صغيرتان على قمة سقف المنزل الهرمي تغنيان.
فسأل أويفيند وهو يضحك: ‘‘ماذا تقول الطيور؟’’
--جاءت الإجابة.
‘‘تقول الطيور
إلهي العزيز، كم أن الحياة جميلة
لمن ليسوا متعبين ولا مكافحين’’
وهكذا تعلَّم أويفيند ماذا كان يقول الجميع؛ حتى النملة التي تحبو على النباتات و الدودة التي تعمل في لحاء الشجر.
وتولَّت الأم تعليمه القراءة في الصيف ذاته، و كانت لديه كتب لفترة طويلة، وكان يتساءل كيف سيكون الأمر عندما تبدأ في التحدث هي الأخرى. والآن تحولت الحروف إلى حيوانات وطيور وجميع المخلوقات الحية، وسريعًا بدأوا يتحركون معًا؛ أزواجًا، وجلس "الألف" يستريح أسفل شجره اسمها "الباء" وجاءت "التاء" وانضمت إليه. لكن عندما بدأت ثلاثة أو أربعة من

الحروف تتجمع معـًا بدا وكأنهم يغضبون من بعضهم البعض ولم يسر أي شيء على النحو الصحيح حينها، وكلما تقدم أكثر كلما وجد نفسه ينسى الحروف، وكان "الألف" هو ما تذكره لأطول فترة؛ فلقد كان أكثر حرف يحبه؛ لأنه كان حَمَـلاً أسود اللون، وكان صديقـًا للباقين جميعًا لكن سريعـًا ما نـُسي "الألف" هو الآخر وأصبحت الكتب لا تحتوي على القصص بل الدروس فقط.

ثم دخلت أمه ذات يوم وقالت له:

‘‘غدًا تبدأ المدرسة مجددًا، وسوف تذهب معي إلى المزرعة’’.

ولقد سمع أويفيند أن المدرسة هي مكان يلعب فيه الكثير من الأولاد مع بعضهم البعض، ولم يكن ليعترض على ذلك، بل كان سعيدًا للغاية فلقد ذهب إلى المزرعة كثيرًا، لكن عندما لم يكن هناك دراسة، ثم أخذ يمشي أسرع من أمه صاعدًا جانب التل وهو شغوف جدًا بالأمر. وعندما وصلا إلى منزل كبار السن الذين كانوا يعيشون على دخل الدراسة السنوي قابلتهم غمغمة كتلك التي تصدر من الطاحونة عند منزلهم؛ فسأل أمه ماذا كان هذا.

فأجابته أمه: ‘‘إنهم الأطفال يقرؤون’’. وكان مبتهجـًا لأنه قد قرأ وتعلم الحروف من قبل.

وعند دخوله رأى أطفالاً كثيرين جدًا حول منضدة مستديرة - حتى إنه لا يمكن أن يكون أطفال آخرون بالكنيسة- وجلس البعض الآخرعلى دِلاء الطعام الخاصة بهم بطول الحائط، ووقف البعض في مجموعات عند جدول للحساب، وكان المدرس - رجل كبير في السن و ذو

شعر رماديّ- جالسـًا على مقعد عند المدفأة يملأ غليونه. ونظر الجميع إلى أعلى عندما دخل أويفيند وأمه وتوقفت الهمهمة وكأنه تيار طاحونة توقَّف، ولقد تركزت جميع الأعين على الوافديـْن، وقامت الأم بتحية المدرس الذي رد تحيتها بدوره.

وقالت الأم: ‘‘لقد جئت إلى هنا لأحضر فتىً صغيراً يريد أن يتعلم القراءة’’.

فاستفسر المدرس وهو يتحسس حقيبته الجلدية باحثـًا عن التبغ: ‘‘ما اسم الفتى؟’’

فأجابت الأم: ‘‘أويفيند وهو يعرف الحروف ويستطيع أن يتهجى’’.

فهتف المدرس: ‘‘لا، حقـًا!’’ ثم نادى أويفيند: ‘‘تعالى إلى هنا يا ذا الرأس البيضاء!’’

فسار أويفيند إليه فأخذه المدرس وأجلسه على ركبته وخلع عنه قبعته.

ثم قال وهو يداعب شعر الفتى: ‘‘يالك من طفل صغير لطيف’’ فنظر أويفيند في عينيه وضحك.

فقطب الرجل حاجبيه بينما قال: ‘‘هل تضحك عليّ!’’

فأجاب أويفيند بضحكة مجلجلة: ‘‘نعم’’.

فضحك المدرس أيضـًا ثم ضحكت الأم، فعلم الأطفال أنه مسموح لهم أن يضحكوا وهكذا أخذوا جميعهم يضحكون معـًا.

وهكذا انضم أويفيند إلى المدرسة.

وعندما حان لأوي ڤيند أن يتخذ مقعده أراد جميع الطلاب أن يفسحوا له مكانـًا، ومن جانبه أخذ ينظر حوله لفترة طويلة، وبينما أخذ الأطفال الآخرون

يهمسون ويشيرون استدارأويفيند في كل اتجاه وقبعته في يده وكتابه أسفل ذراعه.

ثم سأل المدرسُ الذي انشغل مجددًا بغليونه: "حسنـًا، ماذا الآن؟"

وبينما كان الفتى على وشك أن يستدير إلى معلمه وقع بصره على - جانب الموقد بالقرب منه بشدة- ماريت ذات الأسماء الكثيرة جالسة على صندوق مدهون باللون الأحمر تخبيء وجهها خلف يديها وتختلس النظر إليه.

فصاح أويفيند على الفور: "سوف أجلس هنا!" وأجلس نفسه إلى جانبها وهو يمسك بعلبة السندوتشات، ثم رفعت هي ذراعها بالقرب منه قليلاً واختلست النظر إليه من أسفل كوعها، وغطى هو الآخر وجهه بيديه فورًا ونظر إليها من أسفل كوعه، وهكذا أخذا يمزحان حتى ضحكت ثم ضحك هو أيضـًا، ولاحظ الصغار الآخرون ذلك وانضموا إلى الضحك، فقاطعهم فجأة صوت قوي بشكل مخيف، لكنه أصبح ألطف بينما تحدَّث قائلاً :

"صمتـًا، أيها الأطفال الأقزام، أيها البائسون الثرثارون! هـُسس، وكونوا هادئين معي أيها الخنازير الصغيرة!"

كان هذا هو المدرس، والذي كانت عنده عادة أن ينفجر غاضبـًا ثم يصبح لطيفـًا مرة أخرى قبل أن يفرغ من حديثه، ولقد صارت المدرسة هادئة في الحال، حتى بدأت مطحنات الفلفل مجددًا وأخذ الأطفال يقرؤون بصوت عال كلٌ من كتابه، وأخذت الأصوات الرقيقة وكأنها تصفـّر، أما الأصوات الأكثر خشونة فظلت تقرع

بصوت أعلى وأعلى من أجل أن تكون لها الهيمنة، وأحيانًا يرتفع صوت عن الآخرين هنا و هناك. لم يحظ أويفيند في حياته بمثل هذه المتعة.

وهمس إلى ماريت: ‘‘هل الأمر هنا هكذا دائمًا؟’’

فقالت: ‘‘نعم، دائمًا’’.

وكان عليهما أن يتقدما إلى المدرس ويقرءا، ثم عُيِّن فتى صغير لتعليمهما القراءة، ثم تم السماح لهما بأن يذهبا ويجلسا مجددًا بهدوء.

وقالت ماريت: ‘‘لقد أصبحت عندي معزة الآن’’.

‘‘صحيح؟’’

‘‘نعم لكنها ليست جميلة كمعزتك’’.

‘‘لماذا لا تأتين مجددًا إلى الجرف؟’’

‘‘يخاف جدي عليّ من السقوط’’.

‘‘لماذا؟ إنها ليست مرتفعة جدًا’’.

‘‘لن يسمح لي جدي بالرغم من ذلك’’.

فقال أويفيند: ‘‘إن أمي تعرف أغان كثيرة رائعة’’.

‘‘وجدي يعرف أيضًا، يمكنني أن أغنيها لك’’.

‘‘نعم، لكنه لا يعرف أغاني أمي’’.

‘‘جدي يعرف أغنية عن الرقص. هل تريد أن تسمعها؟’’

‘‘نعم جدًا’’.

‘‘حسنًا اقترب إذن مني في هذه الناحية حتى لا يرانا المدرس’’.

واقترب منها ثم أنشدت جزءًا صغيرًا من أغنية أربع أو خمس مرات حتى حفظها الفتى، وكان ذلك هو أول شيء يتعلمه في المدرسة.

"صاحت الكمانجة: ارقصوا
وكانت أوتارها تهتز وابن المصور يقفز ويقول: ‘‘هيه!’’
وصاحت "أولا": ‘‘ابق معنا’’
و عرقلته بخفَّة فضحكت الفتيات وابتهجن
وظل المصور واقع بالأسفل.
وحينها قال "إريك": ‘‘اقفز!’’
وكعباه يضربان الأرض إلى أعلى وأخذت الألواح الخشبية ترن وأطلقت الحوائط صيحة عالية وصرخ "إلينج": توقفوا!
ثم أمسك بياقته حينها
وأوقفه وهو يشهق ويقول:
‘‘لماذا أنت ضعيف جدًا هكذا؟!’’
فتحدث "راسماس": ‘‘مهلاً’’
وهو يمسك بـ "راندي" الجميلة
‘‘تعال وأعطني هذه القبلة
دون مضايقة. آه! أنت تعرفين!’’
فأجابت "راندي": ‘‘لاَ!’’
ولكمته بسرعة وصرخت بطريقة فظة وهي خارجة:
‘‘خذ هذه الآن واذهب!’’
ثم صاح المدرس: ‘‘قوموا أيها الصغار، هذا أول يوم لذا ينبغي أن أسمح لكم بالخروج مبكرًا، لكن يجب أن نتلو صلاة ونغني أولاً’’.
فأصبحت المدرسة بأكملها في نشاط الآن؛ فلقد قفز الأطفال من مقاعدهم وركضوا على الأرض وأخذوا يتحدثون على الفور.

فقال المدرس: "صمتًا أيها الغجر الصغار، أيها الأوغاد الصغار، أيها الأطفال! كونوا هادئين وامشوا بأدب على الأرض أيها الأطفال الصغار!" فعاد الأطفال إلى أماكنهم وبعدها وقف المدرس أمامهم وقام بصلاة قصيرة، ثم قاموا بالغناء؛ بدأ المدرس الأغنية بصوت جهير وعميق، ثم انضم إليه جميع الأطفال وهم مكتوفو الأيدي، ووقف أويفيند في المؤخرة مع ماريت بالقرب من الباب ينظران وهما مكتوفا الأيدي أيضًا لكنهما لم يستطيعا الغناء.

وكان هذا اليوم الأول في المدرسة.

obeikandl.com

الفصل الثالث

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

كبُر أويفيند وأصبح صبيًا ذكيًا وكان من ضمن الطلاب الأوائل في المدرسة، ولقد كان مخلصًا في كل مهامه التي يقوم بها في المنزل؛ وذلك لأنه كان يحب أمه في المنزل ويحب معلمه في المدرسة، لكنه كان قلّما يرى أباه الذي كان إما يصطاد أو يرعى الطاحونة حيث يطحن نصف أبناء الأبرشية قمحهم.

أما ما كان له التأثير الأكبر على عقله هذه الأيام هو قصة حياة معلمه، والتي قصّتها أمه عليه ذات مساء بينما كانا جالسيْن عند الموقد، ولقد غاصت هذه القصة في كتبه، وفرضت نفسها مع كل كلمة كان ينطقها المعلم، وكانت تتوارى في الفصل عندما يسود السكون،

ولقد جعلته مطيعًا ويوقر معلمه، وجعلت إدراكه أفضل؛ فلقد كان لها يد في كل شيء تعلَّمه.

وها هي القصة:

لقد كان اسم المعلم بآرد، ولقد كان لديه أخ يُدعى أندِرس، ولقد كانا يحبا ويحترما بعضهما البعض، وتم تجنيدها معًا وعاشا معًا في البلدة نفسها وشاركا في الحرب وتم منحهما هما الاثنين رتبة عريف، ثم خدما في السَرية نفسها، واعتقد الجميع عند عودتهما من الحرب أنهما شخصان رائعان. ثم مات والدهما ولقد كان لديه الكثير من الممتلكات الشخصية التي ليس من السهل تقسيمها، لكن الأخوان قررا أن يضعا هذه الأشياء في المزاد - حتى لا يحدث بينهما أي خلاف- من أجل أن يشتري كل منهما ما يريده ثم يتم تقسيم العائد بينهما، ثم ما لبثا أن قاما بالأمر، وكان أبوهم يمتلك ساعة يد ذهبية كبيرة، والتي كانت لها شهرة واسعة؛ لأنها كانت الساعة الذهبية الوحيدة التي رآها الناس في هذه المنطقة من البلد، وعندما تم عرضها حاول الكثير من الأغنياء أن يحصلوا عليها حتى بدأ الأخوان يشاركا في المزايدة فتوقف الباقون. والآن توقَّع بآرد أن يدعه أندِرس يأخذ الساعة و توقَّع أندِرس الشيء نفسه من بآرَد، وأخذ كل منهما يزايد بدوره ليختبر الآخر وكانا ينظران إلى بعضهما البعض بقسوة أثناء المزايدة. وعندما وصل ثمن الساعة إلى عشرين دولارًا بدا لبآرد أن أخاه لا يتصرف بعدل واستمر في المزايدة حتى وصل إلى ثلاثين تقريبًا، وبينما ظل أندرس يواصل المزايدة صعق بآرد أن أخاه لم يتذكر كيف كان طيبًا معه دائمًا، ولا أن بآرد

أخوه الأكبر، وتعدَّت الساعة الثلاثين دولارًا، وظل أندرس يواصل ثم زايد بآرد فجأة بأربعين دولارًا وكفَّ عن النَظر إلى أخيه وساد صالة المزاد سكون تام وكان يُسمع صوت الدلال ينطق السعر بهدوء، وفكر أندرس وهو يقف هناك أنه إذا كان بآرد يقدر على أن يدفع أربعين دولارًا يستطيع إذن هو الأخر أن يفعل ذلك، وإن كان بآرد يبخل عليه بالساعة فإنه سيأخذها ثم زايد أعلى. وشعر بآرد أن هذا الأمر هو أكبر إهانة وقعت له وزايد بخمسين في صوت خفيض جدًا. وكان الكثير من الناس واقفون حولهم ولم ير أندرس كيف أن أخاه يستطيع أن يهزأ به على مسمع الجميع وزايد أكثر، وضحك بآرد في آخر المطاف.

فلقد قال بآرد: "مائة دولار وحبي الأخوي في الصفقة" واستدار وترك المكان، فخرج إليه شخص بعد قليل بينما كان منهمكًا بوضع سرج الحصان الذي اشتراه قبل وقت قليل.

قال الرجل: "أصبحت الساعة ملكك، انسحب أندرس".

وفي اللحظة التي سمع فيها بآرد هذا اعتراه شعور بالندم وفكر في أخيه وليس في الساعة، وكان قد انتهى من وضع السرج على الحصان، لكنه توقف ويده على ظهر الحصان غير واثق إذا كان يمتطي الحصان ويذهب أم لا، والآن خرج الكثير من الناس من بينهم أندرس الذي صاح لأخيه عندما رآه واقفًا بجانب الحصان - لا يعلم فيم كان يفكر بآرد - قائلاً: "أشكرك من أجل

الساعة يا بآرد! إنك لن تراها تعمل يوم أن يتضايق منك أخوك.

فأجاب بآرد: "ولا حتى يوم أن أذهب إلى المزرعة" ولقد أصبح وجهه شاحبًا بشدة وهو يمتطي الحصان.

ولم تطأ قدم أيٍّ منهما المنزل الذي كانا يعيشان فيه مع أبيهما مجددًا.

وبعد ذلك بفترة قليلة تزوج أندرس من أسرة خادم، ولكنه لم يدعُ بآرد إلى حضور الزفاف ولا حتى في الكنيسة، وفي أول سنة من زواجه وُجدت البقرة الوحيدة التي كان يمتلكها أندرس ميتة خلف الجانب الشمالي لمنزله حيث كانت مربوطة، ولم يستطع أحد أن يكتشف ماذا أماتها، ولقد توالت عدة مصائب بعد ذلك وظل حال أندرس يتدهور، لكن أسوأ ما حدث كان احتراق حظيرته بكل ما احتوت عليه في منتصف الشتاء ولم يعرف أحد كيف اندلع الحريق.

قال أندرس: "لقد تم ذلك بواسطة شخص يتمنى لي الشر" ثم أخذ ينتحب هذه الليلة فلقد أصبح الآن رجلاً فقيرًا وفقد كل طموحاته من أجل العمل.

وفي المساء التالي ظهر بآرد في غرفة أندرس الذي كان في سريره عندما دخل بآرد، لكنه انتفض ونهض على الفور.

وصرخ: "ماذا تريد؟" ثم وقف صامتًا وهو يحدِّق مثبتًا عينيه على أخيه.

وانتظر بآرد قليلاً قبل أن يجيب ..

"أريد أن أساعدك يا أندرس؛ فالأمور تسوء معك".

‘‘أصبح حالي كما تمنيته أنت أن يكون يا بآرد! اذهب فأنا لست متأكد أني أستطيع أن أتحكم في نفسي’’.

‘‘أنت مخطئ يا أندرس، فأنا ندمت’’ ..

‘‘اذهب يا بآرد وإلاَ فليرحمنا الرب!’’

فتراجع بآرد بضعة خطوات إلى الخلف وغمغم بصوت مرتعد ..

‘‘إذا كنت تريد الساعة فلتأخذها’’.

فصرخ الآخر:‘‘اذهب يا بآرد!’’ فغادر بآرد ولم يجرؤ على أن يبقى أطول من ذلك.

ومضى الحال مع بآرد هكذا: بمجرد أن سمع المصائب التي حلّت على أخيه ذاب قلبه، لكن كبرياءه كان يمنعه، وشعر بأنه يجب عليه أن يذهب إلى الكنيسة، ولقد عقد النية هناك على قرارات جيدة، لكنه لم يستطع أن ينفذها؛ فلطالما ذهب في طريقه إلى منزل أندِرس كي يراه، لكن كان يخرج أحد من الباب تارة، ويجِد شخصًا غريبًا عنه تارة أخرى، ثم خرج أندِرس مجددًا يقطع الأخشاب، ولذلك ظل هناك ما يقفَ في طريقه، لكن في يوم من أيام الأحد في أواخر الشتاء ذهب بآرد إلى الكنيسة مجددًا، وكان أندِرس هناك أيضًا ورآه بآرد وقد أصبح شاحبًا وهزيلاً، وكان يرتدي الملابس نفسها التي كان يرتديها في الأيام السالفة عندما كان الأخوان لا يفترقان عن بعضهما، لكنها أصبحت الآن قديمة ومرقعة، وأثناء الموعظة ظل أندِرس مثبتًا عينيه على القس وظن بآرد أنه يبدو جيدًا وطيبًا، وتذكر بآرد طفولتهما وكيف كان أندرس صبيًا طيبًا. وذهب بآرد إلى العشاء الإلهي هذا اليوم وعاهد ربه عهدًا صادقًا

بأنه سوف يتصالح مع أخيه مهما حدث، وسرى هذا العهد إلى روحه بينما كان يشرب الخمر، وعندما نهض أراد أن يذهب إليه ويجلس بجانبه، لكن كان هناك شخص يحول بينهما، ولم ينظر أندرس إلى أعلى، وبعد الصلاة الجماعية أيضًا كان هناك ما يقف في طريقه؛ فلقد كان هناك أناس كثيرون جدًا، وكانت زوجة أندرس تسير بجانبه، ولم يكن بآرد قد تعرَّف عليها من قَبل، وقرر أنه من الأفضل أن يذهب إلى أخيه في منزله ويتحدث معه بصراحة. ورحل عندما حلّ المساء وذهب إلى باب غرفة الجلوس مباشرة واستمع ثم سمع أحدًا ينطق اسمه ؛ ولقد كانت زوجته التي نطقت الاسم.

وقالت: ‘‘لقد قام بالتناول اليوم، لابد وأنه قد فكر فيك’’.

فقال أندرس: ‘‘لا لم يفكر فيّ، أنا أعرفه إنه يفكر في نفسه فقط’’.

وساد الصمت لفترة طويلة، وسال عرق بآرد بينما وقف هناك، بالرغم من أنه كان مساءًا باردًا، وكانت الزوجة منشغلة بالداخل بإبريق ظل يطقطق ويهسهس على الموقد، وكان هناك طفل يبكي من حين لآخر هدهده أندرس، وأخيرًا قالت الزوجة هذه الكلمات ...

‘‘أنا متأكدة من أنكما تفكران في بعضكما البعض دون أن تريدا الاعتراف بذلك’’.

فأجاب أندرس: ‘‘لنتحدث عن شيء آخر’’.

وبعد قليلَ قام أندرس وتحرك باتجاه الباب واضطر بآرد إلى الاختباء في سَقيفة الحطب، ولكن أندرس جاء لهذا المكان بالذات ليأخذ خشبًا ملء ذراعه، ووَقف بآرد

في الركن ورآه بوضوح ولقد خلع ملابس يوم الأحد الرثة وارتدى الزي الذي أحضره معه من الحرب، والذي كان لدى بآرد مثله والذي وعده أندِرس بألا يمسه أبدًا، بل سيتركه كجزء من ميراثه، ولقد وَعده بآرد الوعد نفسه، لكن زيّ أندِرس أصبح الآن مرقعًا وباليًا، ولقد كان جسده القويّ البنية مغلّف بحفنة من الأقمشة البالية، وسمع بآرد في الوقت نفسه ساعته الذهبية تدق في جيبه، وسار أندِرس إلى حيث الحزمات متراصّة، وبدلاً من أن ينحنيَ في الحال ليلتقطها، توقف ومال إلى الخلف واستند على كومة من الخشب وحدَّق في السماء التي لمعت بالنجوم، ثم تنهَّد وغمغم:

"نعم، نعم، نعم يا إلهي، يا إلهي!"

وظل بآرد يسمع هذه الكلمات طيلة حياته. ولقد أراد أن يخطو إلى الأمام لكن أخاه سعل حينها وبدا الأمر غاية في الصعوبة، ولم يتطلب الأمر ما هو أكثر من ذلك ليوقفه. أخذ أندِرس ملء ذراعيه خشبًا ومرّ أمام بآرد مقتربًا منه بشدَة، حتى إن الأغصان ضربت وجهه مما جعله يتألم.

ولقد وقف بآرد لمدة عشر دقائق وكأنه تسمر في مكانه، وإنه لأمر غريب أنه أراد أن يغادر المكان بعد كل هذه المشاعر القوية التي اعترته بعد أن اهتز كيانه لسماعه أنين أخيه، ثم مضى واعترف لنفسه بصراحة أنه كان أجبن من أن يدخل، لذا فقد قام بعمل خطة جديدة؛ وأخذ بعض قطع الفحم من صندوق الرماد الذي كان موجودًا في الركن الذي تركه لتوه ووجد شريحة من خشب الصنوبر وذهب إلى الحظيرة وأغلق

الباب وأشعل النار في الشريحة، وعندما أضائها رفعها ليجد المسمار الخشبي الذي يعلق عليه أندرس مصباحه عندما يأتي في الصباح الباكر ليدرس الحنطة. أخرج بآرد ساعته الذهبية وعلّقها على المسمار الخشبي ونفخ في النار ليطفئها، ورحل ثم شعر براحة تامة حتى أنه أخذ يقفز على الثلج كصبي صغير.

ولقد سمع في اليوم التالي أن الحظيرة قد احترقت ليلاً ولم يتبق فيها شئ، ولا شك في أن بعض الشرر قد تطاير من الشعلة التي أضاء بها بينما كان يعلّق ساعته.

ولقد قهر هذا الأمر بآرد حتى أنه لازم غرفته طيلة اليوم و كأنه رجل مريض، وأحضر كتاب التراتيل الخاص به وأخذ يرتل منه حتى ظن جميع من بالمنزل أنه أصابه الجنون، لكنه خرج بصوت عالٍ في المساء وكان القمر مضيئاً، وسار إلى منزل أخيه وحفَر في الأرض حيث كان الحريق، ووجد - كما توقع – كتلة ذهبية صغيرة منصهرة، الساعة ! وكانت هذه هي الساعة.

وذهب إلى أخيه ويده مضمومة على الكتلة بقوة، ينشد السلام وكان على وشك أن يشرح له كل شيء.

ولقد رأته فتاة صغيرة يحفر في الرماد، ولاحظه بعض الفتيان وهم في طريقهم إلى حفلة راقصة وهو ذاهب إلى المكان في مساء الأحد الماضي، وشهد من بمنزله كيف كان يتصرف بطريقة غريبة يوم الاثنين، وبما أن الجميع كان يعلم أنه وأخوه عدوين لدودين فلقد أعطيت هذه المعلومات وتم رفع الدعوى.

لم يستطع أن يثبت شيئاً على بآرد لكنه كان محل الشكوك، والآن شعر بآرد بعدم قدرته على الاقتراب من أخيه أكثر من ذي قبل.

ولقد فكر أندرس في بآرد عندما احترقت الحظيرة لكنه لم يتحدث مع أحد بهذا الشأن، وعندما رآه يدخل إلى غرفته شاحبًا ومتوترًا في اليوم التالي فكّر على الفور: " الآن قد اعتراه الندم، لكنه لن يغفر له مثل هذه الجريمة البشعة في حق أخيه. " وسمع أندرس بعد ذلك كيف أن الناس قد شاهدوا بآرد ذاهباً إلى الحظيرة في المساء الذي اندلع فيه الحريق، وبالرغم من أنه لم يخرج شئ إلى النور في المحاكمة إلا أن أندِرس كان متأكداً جداً أن أخاه مذنب.

تقابل الأخوان في المحاكمة، بآرد في ملابسه الراقية الفاخرة وأندِرس في ملابسه المرقعة. ونظر بآرد إلى أخيه وهو يدخل، ولقد كان في عينيه نظرة حملت تعبيرًا عن توسُّل يُرثى له، حتى إن أندرس شعر بها من أعمق أعماق قلبه و فكر: "هو لا يريدني أن أقول شيئاً، وعندما سُئل إذا كان يشك في أن أخاه قد قام بالأمر، قال بصوت مرتفع وحازم: لا ! ".

ومنذ ذلك اليوم عكف أندرس على شُرب الخمر وسرعان ما أصبح حطَامًا، وكان الأمر أسوأ مع بآرد رغم أنه لم يشرب، لكنه ما كاد يتعرف عليه من كانوا يعرفونه من قبل.

ولقد دخلت امرأة فقيرة في وقت متأخر مساء أحد الأيام الغرفة التي كان بآرد يستأجرها، وتوسلت إليه ليصاحبها لمسافة قصيرة، ولقد كان بآرد يعرفها؛ فقد

كانت زوجة أخيه ولقد فهم مسبقًا ماذا كانت تحمل رسالتها الشفهية، وشحب بشدة ثم ارتدى ملابسه وخرج معها دون أن يتفوه بكلمة واحدة، ولقد كان هناك بصيص من الضوء يخرج من نافذة أندرس، ولقد كان الضوء يومض ثم يختفي ولقد اهتديا فَي طريقهما بهذا الضوء؛ لأن الطريق كان مختفيًا بسبب الثلج، وعندما وقف بآرد على الطريق مرة أخرى اشتم رائحة غريبة جعلته يشعر بالإعياء ثم دخلا؛ وكان طفل صغير يقف بجانب الموقد يأكل الفحم وكان وجهه بأكمله أسود اللون، لكن عندما نظر إلى أعلى وضحك كشف عن أسنانه البيضاء؛ وكان هذا الطفل ابن أخيه.

هناك فوق السرير كان أندرس مستلقيًا وموضوع فوقه كومة من الملابس وقد أصبح هزيلاً، جبهته العالية ملساء، وعيناه الغائرتان مثبتتان على أخيه. وارتعشت ركبتي بآرد وجلس على طرف السرير وانفجر في البكاء، ونظر إليه الرجل المريض باهتمام ولم يقل شيئًا، وأخيرًا طلب من زوجته الخروج ولكن بآرد أشار لها بالبقاء، وبدأ الأخوان في التحدث مع بعضهما البعض، وشرحا لبعضهما كل شئ منذ اليوم الذي زايدا فيه على الساعة حتى هذه اللحظة، وانتهى بآرد بإخراج كومة الذهب التي دائمًا ما كان يحملها معه، واتضح للأخوين الآن أنهما الاثنان لم يشهدا يومًا سعيدًا طيلة هذه السنوات.
ولم يقل أندرس الكثير فهو لم يكن قادرًا على ذلك لكن بآرد ظل بجانب سريره طيلة فترة مرضه.

وقال أندرس ذات صباح عندما استيقظ: " أصبحت معافى تماماً الآن، والآن يا أخي سوف نعيش طويلاً مع

بعضنا البعض، ولن نترك بعضنا أبدًا، تمامًا كما كنا في الماضي."

لكنه مات في هذا اليوم.

ولقد تحمّل بآرد مسئولية الزوجة والطفل، وأصبحا بحال جيدة منذ هذا الوقت، ولقد تخلل ما قاله الأخوان عند السرير الحوائط والليل، وسرعان ما عرفه جميع من بالأبرشية وأصبح بآرد أكثر الرجال احترامًا من بينهم، وأصبح الناس يقـّدرونه ويُعدّونه إنسانـًا قد عانى الكثير من الأحزان الهائلة ووجد السعادة من جديد، أو كإنسان كان غائبًا لفترة طويلة جداً، وأصبح بآرد يمتلك قوة داخلية من خلال كل هذا الود الذي أحاطه، وأصبح رجلاً متدينـًا، بحق وقال إنه يريد أن يكون نافعًا، لذلك بدأ العريف العجوز يدرّس للطلبة، وكان أول وآخر ما جعله ينطبع في أذهان أطفاله هو الحب، وأخذ يتعامل هو نفسه بمنتهى الحب، حتى إن الأطفال تعلّقوا به كرفيق في اللعب وكأب على حد سواء.

وكانت هذه قصة المُعلم ولقد ترسخت هذه القصة بعمق في ذهن أويفيند حتى إنها أصبحت بالنسبة إليه جزءًا من الدين والتعليم، وأصبح المُعلم في نظره وكأنه كائن خارق بالرغم من أنه كان يجلس هناك مخالطـًا طلبته ومتذمرًا منهم. وكان أمراً مستحيلاً بالنسبة لأويفيند ألا يستذكر كل دروسه، أما إذا حصل أويفيند على ابتسامة أو ربتة على رأسه بعد أن قام بالتسميع فإنه يشعر بالدفء والسعادة طيلة هذا اليوم.

عندما كان المعلم يُلقي على الأطفال أحيانـًا خطبة صغيرة قبل الغناء كان ذلك يترك فيهم أثرًا عميقـًا، وكان

المدرس يقرأ لهم على الأقل مرة كل أسبوع أبيات الشعر عن حب الإنسان لجيرانه، وبالرغم من أنه الآن يقرؤها لعشرين أو ثلاثين عاماً، وهذه هي الأبيات:

" أحب جارك حبًا مسيحيًّا!
ولا تطأه بكعب حديدي
رغم أنه يمكن إخضاعه في التراب!
وإلى الأبد يرشد بعصا سحرية
كل ما خلقه."

لكنه عندما ينتهي من إنشاد القصيدة بأكملها يتوقف قليلاً ثم يبكي وتلمع عيناه.

"انهضوا أيها الأقزام الصغار! واذهبوا إلي بيوتكم دون ضجة، اذهبوا بهدوء حتى أسمع عنكم أخبار جيدة، أيها الأطفال الصغار!"

لكن عندما يحدثوا جلبة كبيرة وهم يبحثون عن كتبهم ودلاء أطعمتهم، يصيح بصوت أعلى منهم جميعاً:

"تعالوا غدًا حالما يأتي الصباح وإلا سوف أضربكم، تعالوا مجددًا في حال جيدة أيها االفتيان و لفتيات الصغار وحينها سوف نصبح مجدّين في العمل."

الفصل الرابع

ولا يوجد الكثير لنتحدث عنه في تقدم أويفيند حتى عام قبل تثبيته في الكنيسة؛ فلقد كان يدرس في الصباح ويعمل بقية النهار ويلعب في المساء.

وبما أنه كانت لديه شخصية مرحة فوق العادة فسرعان ما اعتاد أطفال الجيران على أن يذهبوا إلى حيث كان في وقت اللعب الخاص بهم، و كان هناك تل كبير ينحدر إلى الخليج أمام منزله ويحيطه الجرف من ناحية والغابة من الناحية الأخرى كما وُصف مسبقًا وطيلة فترة الشتاء؛ في أوقات المساء لطيفة الجو وفي أيام الأحد خدم هذا المكان كأرض يتزلج أطفال الأبرشية

الصغار عليها، ولقد كان أويفيند سيد التل وكان يمتلك مزلجين اسمهما "القدم الأسطول" و "الكسول" ولقد كان يقرض الأولى للمجموعات الأكبر، أما الثانية فيبقيها لنفسه واضعًا ماريت على حجره.

وكان أول ما يفعله أويفيَند عندما يصحو في هذه الأيام هو أن ينظر بالخارج ليرى إذا ما إذا كان الثلج يذوب وإذا كان الجو غائمًا فوق الشجيرات خلف الخليج، أو إذا سمع السطح يقطر إثر المطر، يمضي وقتًا طويلاً في ارتداء ملابسه، وكأنه ليس عليه أي شيء لينجزه هذا اليوم، أما إذا استيقظ من نومه -خاصة يوم الأحد- على جو صاف ومنعش يرتدي أفضل ملابسه ولا يعمل، فقط مذاكرة المبادئ الدينية أو الذهاب إلى الكنيسة في الصباح، أما وقت العصر والمساء بأكملهم فهو حُر ... هييه! ثم يقفز الفتى من فوق السرير ويرتدي ملابسه متعجلاً وكأن هناك حريقًا ولا يكاد يأكل لقمة. وبمجرد أن يجيء العصر و يظهر أول فتى على المرأى على جانب الطريق، يأرجح مزلجته فوق رأسه ويصيح حتى يتردد صدى صوته بين سلاسل الجبال عند البحيرة، ثم يظهر آخر على مزلجته على الطريق ثم آخر وآخر، ينطلق أويفيند ومعه "القدم الأسطول" ويتجه إلى أسفل التل ويتوقف بين الوافدين وهو يصيح صيحة طويلة تجلجل من سلسلة جبال إلى أخرى بطول الخليج وتتلاشى على المدى البعيد، ثم ينظر من حوله باحثًا عن ماريت، لكن عندما تصل لا يأبه بها.

وأخيرًا جاء عيد الكريسماس، حيث كان سيكمل أويفيند وماريت عامهم السادس عشر أو السابع عشر،

حيث كان كلاهما سيتم تثبيته في الكنيسة في فصل الربيع، وفي اليوم الرابع بعد الكريسماس أقيمت حفلة عند عائلة الهايديجاردز، عند جديّ ماريت اللذين قد قاما بتربيتها، وقد ظلا يعداها بهذه الحفلة منذ ثلاث سنوات وكان عليهما أن يقيماها خلال الإجازة، ولقد كان أويفيند مدعوًا إليها.

ولقد كان هذا المساء غائمًا بعض الشيء، لكنه لم يكن باردًا، ولم توجد نجوم في السماء، ولابد وأن اليوم التالي سيجلب معه المطر، ولقد هبَّت ريح خفيفة فوق الثلج الذي تمت إزالته بالفعل من هنا ومن هناك في حقول الهايديجاردز البيضاء، أما في أماكن أخرى فلقد انجرف الثلج. ولقد كان هناك بطول الطريق في الجزء الذي كان فيه القليل من الثلج أغطية ثلجية/جليدية ملساء ذات لون كحلي يميل إلى السواد تقع بين الثلج و الحقول الجرداء، ويلمع في بعض الرُقع بقدر ما تراه العين، أما بطول جوانب الجبال فلقد كان هناك انهيارات ثلجية، وكان المكان آثرهم مظلمًا وأجدبًا، أما على كلا الجانبين كان الضوء يلمع على الأغطية الثلجية إلا عندما كانت أشجار البتولا توحِّد رؤوسها معًا فتنتج عنها ظلال معتمة، ولم يوجد ماء بل فقط أراض بور و مستنقعات أسفل الجبال الحزينة المتصدعة، كانتْ المزارع منتشرة في مجموعات كثيفة في منتصف السهل، وكانت تشبه الكُتل السوداء في أمسيات الشتاء المعتمة، وكان الضوء يُرسَل إلى الحقول مرة من هذه النافذة ومرة من النافذة الأخرى، وكان يبدو من الضوء أن أولئك الموجودين بالداخل مشغولون.

ولقد أتى الصغار والكبار ومتوسطي العمر مع بعضهم البعض من اتجاهات متنوعة، ولم يأت غير القليل منهم من على الطريق، أما الباقون فلقد تركوا الطريق على الأقل عندما وصلوا إلى المزارع وأخذوا يتسللون إلى الأمام؛ أحدهم خلف الإسطبل واثنان بالقرب من المخزن، وظل البعض طويلاً خلف الحظيرة يصرخون كالثعالب ويرد عليهم آخرون من بعيد كالقطط، ووقف شخص خلف المدخنة ينبح ككلب عجوز غاضب صوته مبحوح، ثم اجتمعوا كلهم أخيراً ليذهبوا إلى مكان الحفل، وأتت الفتيات تتمشى في مجموعات كبيرة ومعهن قليل من الفتيان -معظمهم صغار- احتشدوا حولهم في الطريق ليظهروا وكأنهم شباب، وعندما كانت تصل مجموعة فتيات كهذه إلى المزرعة ويراهن شاب أو اثنان تفترق الفتيات ويركضن إلى الممرات أو في الحديقة، ويجب حينها سحب كل فتاة على حدى، وكان بعضهن خجلى خجلاً شديداً حتى إنه وجب مناداة ماريت التي خرجت لهن وأصرّت على دخولهن. وأحيانًا أيضًا كانت تظهر فتاة لم تتم دعوتها وحتى لم تنو الدخول بالمرة، بل جاءت فقط لتلقي نظرة لربما أتيحت لها الفرصة لتحصل على رقصة واحدة، وكانت ماريت تدعو من تحبهم بشدة إلى غرفة صغيرة حيث يجلس جدها يدخن غليونه وتتمشى جدتها، وكان الجدّان يقدمان لهم المشروبات ويتحدثان إليهم بلطف، لكن لم يكن أويفيند ضمن المدعوين إلى هذه الغرفة الأمر الذي بدا له غريبًا.

ولم يستطع أفضل عازف بالأبرشية الحضور إلا بوقت متأخر، لذا كان عليهم أن يرضوا في هذه الأثناء بالعازف القديم. والذي كان خادمًا يُعرف باسم "جراي – نَت"، ولقد كان يعرف أربع رقصات هم كالآتي:-

رقصيتين "سبرينج"،الأولى:"هالينج" والثانية رقصة قديمة اسمها "فالس نابليون"، لكن بالتدريج اضطر العازف إلى أن يغير الـ"هالينج" إلى "شوتيس" بتغيره لإيقاع، وبنفس الطريقة تم تغيير رقصة "سبرينج" إلى "بولكا مازوركا". وعزف الآن وبدأ الرقص، ولم يجرؤ أويفيند على الانضمام إليهم سريعاً؛ لأنه كان هناك الكثير من الكبار، لكن سرعان ما تجمّع الذين أصبحوا نصف كبار مع بعضهم البعض وأخذوا يدفعون بعضهم بعضًا إلى الأمام، ويشربون القليل من الجعة ليزيدوا من شجاعتهم، ثم تقدّم أويفيند معهم، وأصبحت الغرفة دافئة بالنسبة إليهم؛ فالمرح والجعة قد لعبا برؤوسهم، وكانت ماريت ترقص معظم الوقت في هذا المساء- ولا شك في ذلك فقد كانت الحفلة في بيت جدَّيها – مما جعل أويفيند ينظر إليها مرارًا، لكنها كانت ترقص دائماً مع الآخرين، ولقد تمنى أويفيند أن يرقص معها بنفسه؛ ولذلك جلس أثناء رقصة من الرقصات ليستطيع الإسراع إلى جانبها حالما تنتهي الرقصة، وبالفعل قام بذلك لكن شابًا طويلاً أسمر اللون وذا شعر كثيف ألقى بنفسه في طريقه وصاح: "تراجع أيها الصغير!" ودفع بأويفيند دفعة أسقطته على ماريت.

لم يحدث لأويفيند شيء من هذا القبيل أبداً، فلم يعامله أحد بغير الطيبة، ولم يناده أحد أبدًا بـ "الصغير"

عندما كان يود المشاركة، فاحمَّر وجه أويفيند خجلاً ولم يقل شيئاً، وتراجع إلى حيث جلس العازف الجديد – الذي وصل لتوه – يُدَوزِنُ أوتار آلته الموسيقية، وساد الصمت فلقد انتظر الجميع سماع الألحان القوية الأولى من "العازف الرئيسي"، وظل العازف وقتاً طويلاً يجرِّ آلته و يُدَوزِنُ أوتارها، لكن في النهاية بدأ برقصة "سبرينج" ، وأخذ الفتيان يصرخون ويقفزون زوج تلو الآخر إلى الدائرة. وكان أويفيند يشاهد ماريت وهي ترقص مع الرجل ذي الشعر الكثيف وتضحك على كتفه حتى تلمع أسنانها البيضاء. ولأول مرة يشعر أويفيند في حياته بألم حاد وغريب في قلبه.

وظل ينظر إليها أطول وأطول لكن مهما فعل بدا له الأمر أن ماريت أصبحت الآن آنسة بالفعل، ثم فكّر: "وبالرغم من ذلك لا يمكن أن يكون الأمر هكذا، فهي لا زالت تشاركنا في التزلج."

لكنها بالرغم من ذلك أصبحت كبيرة، جذبها الرجل ذو الشعر الداكن بعد أن انتهت الرقصة إلى حِجره لكنها نهضت وجلست إلى جانبه.

وتحوّلت عينا أويفيند إلى ذلك الرجل الذي كان يرتدي بذلة جوخ زرقاء وقميصًا أزرق ذا مربعات ومنديل رقبة ناعمًا حريريًّا، وكان وجهه صغيرًا وعيناه زرقاوين متوهجتين وفمه يضحك وفيه تحدي، وكان وسيماً. وأخذ أويفيند ينظر بتمعُّن أكثر وأكثر، وأخيرًا نظر إلى نفسه سريعًا، وكان قد حصل على سروال جديد من أجل الكريسماس، الأمر الذي جعله مسرورًا للغاية، لكنه رأى الآن أنه ليس أكثر من نسيج رمادي، وكانت

سترته من الخامة نفسها، لكن كانت داكنة اللون وقديمة، أما الصديري فكان ذا مربعات ومغزولاً بالمنزل، وكان قديمًا أيضاً، وكان له زرّان فاتحان اللون والثالث أسود اللون.

ونظر حوله وبدا له أن من كانوا يرتدون ملابس رخيصة مثله قليلون جداً، وكانت ماريت ترتدي فستاناً أسود ضيقـًا من قماش راق، ودبوس زينة فضي على منديل رقبتها، وكانت تمسك في يدها منديلاً حريريًّا مطويًّا، واستقرت على رأسها قبعة سوداء صغيرة حريرية، والتي كانت مربوطة تحت ذقنها بشريط حريري عريض مخطط، بدت جميلة ووجنتيها ورديتان، وكانت تضحك، فقد كان الرجل يتحدث معها ويضحك أيضاً، وبدأ العازف يعزف لحنًا آخر، وكان الرقص على وشك أن يبدأ مجددًا، وجاء صديق لأويفيند وجلس بجانبه.

وسأل بلطف: "لم لا ترقص يا أويفيند ؟"

فقال أويفيند: "هاه، أنا لا أبدو مناسبًا."

فصاح صديقه:

"لا تبدو مناسبًا؟..."

لكن قبل أن يقول المزيد استفسر أويفيند: "من ذلك الذي يرتدي بذلة زرقاء ويرقص مع ماريت؟"

"إنه جون هاتلن والذي كان في المدرسة الزراعية لفترة طويلة، ويتولى أمور مزرعته الآن."

وجلست ماريت وجون في هذه اللحظة.

وسألها جون: "من هذا الفتى ذو الشعر الفاتح الذي يجلس هناك بجانب العازف ويُحدِّق فيّ ؟" فضحكت ماريت وقالت: "إنه ابن الخادم في بلادسن."

ولطالما كان يعرف أويفيند أنه ابن خَادم لكنه لم يدرك ذلك حتى هذه اللحظة، ولقد جعله ذلك يشعر بأنه ضئيل جداً، وأقل من الجميع، ومن أجل أن يستطيع المواصلة كانَ عليه أن يجرب التفكير في كل ما كان يجعله سعيدًا وفخورًا حتى هذا الحين بدءاً من تل التزلج وصولاً إلى كل كلمة طيبة سمعها، وفكر أيضاً في أمه وأبيه اللذين كانا يجلسان بالمنزل الآن ويظنان أنه يقضي وقتًا جميلاً في حين أنه بالكاد يستطيع أن يحبس دموعه، وكان جميع من حوله يضحكون ويمرحون وكان صوت العازف يرن في أذنه، وكانت هذه لحظة بدأ شيء شرير يظهر أمامه فيها، لكنه تذكّر المدرسة حينها وتذكر جميع زملائه ومعلمه الذي كان يربت عليه، وتذكر القس الذي أعطاه كتابًا في الامتحان الأخير، وقال له إنه فتى ذكي، وكان أبوه جالسًا بنفسه ليستمع ولقد ابتسم له.

وظن أنه يسمع معلمه، وهو يجلسه على حِجره كما كان يفعل عندما كان طفلاً: "كن طيباً الآنَ، عزيزي أويفيند." ثم قال أويفيند لنفسه: "يا إلهي ! لا يهم الأمر كثيراً، فالناس جميعاً طيبون في الحقيقة فبالكاد يبدون وكأنهم ليسوا كذلك، ونحن الاثنان سنكون أذكياء." فأويفيند ذكي مثل جون هاتلن تمامًا، وسيكون لدينا ملابس جيدة ونرقص مع ماريت في حجرة مضاءة بها مائة شخص، وسوف نبتسم ونتكلم معًا، وسوف تكون

هناك عروسة وعريس وقِس، وسوف أكون ضمن الكورال أبتسم لك، وتكون أمي بالمنزل ويكون عندنا مزرعة كبيرة بها عشرون بقرة وثلاثة أحصنة، وماريت طيبة كما كانت في المدرسة.

وتوقف الرقص ورأى أويفيند ماريت على المقعد الذي أمامه وبجانبها جون ووجهه قريب من وجهها، وداهمه هذا الألم الحارق الشديد في صدره، وبدا الأمر وكأنه يقول لنفسه: "صحيح، أنا أعاني."

ونهضت ماريت حينها بالضبط، وجاءت إليه مباشرةً وانحنت وقالت له: "لا يجب أن تجلس وتحدِّق فيَّ هكذا، يمكنك أن ترى أن الناس يلاحظون ذلك، خذ أي شخص الآن وانضم إلى الراقصين."

ولم يرد عليها، لكنه لم يستطع أن يحبس الدموع التي تدفقت من عينيه وهو ينظر إليها، وكانت ماريت قد وقفت بالفعل لتتركه، وعندما رأت ذلك توقفت واحمر وجهها كالنار فجأة واستدارت وعادت إلى مكانها، لكنها عندما وصلت إلى هناك استدارت مجددًا وجلست على مقعد آخر فاتَّبعها جون.

ونهض أويفيند من مقعده ومرّ خلال الحشد إلى الفناء الخارجي وجلس على مقعد، ثم لم يعرف ماذا يريد، فنهض ثم جلس ثانية وفكر في أنه يمكنه أن يجلس هناك أو في أي مكان آخر، ولم يكترث بأن يعود إلى المنزل، ولم يرغب في أن يدخل إلى الحفل مرة أخرى، فكان الأمر سواء بالنسبة إليه، ولم يستطع أن يفكر فيما حدث – بل لم يود أن يفكر فيه – بل ولم يرغب في أن يفكر في المستقبل، فلم يكن هناك شيء ليتطلع إليه.

وتساءل بصوت مرتفع قليلاً: "لكن ما الذي أفكر فيه إذن؟" وعندما سمع صوت نفسه فكر: "لازلت تستطيع أن تتحدث، هل تستطيع أن تضحك؟" ثم جرّب الأمر، نعم استطاع أن يضحك، لذا ضحك بصوت عال ثم بصوت أعلى، ثم بدا له أن الأمر مسل جداً أن يجلس هنا ويضحك مع نفسه، فضحك مجدداً. ولكن هانز خرج – صديقه الذي كان يجلس بجانبه بالداخل – وراءه.

وسأله: "ما هذا ، علام تضحك؟" ثم توقف أمام المقعد وحينها صمت أويفيند.

وظل هانز واقفًا وكأنه ينتظر ماذا سيحدث بعد ذلك.

ونهض أويفيند ونظر إليه بإمعان ثم قال بصوت خفيض: "الآن يا هانز سأقول لك لماذا كنت سعيدًا جدًا من قبل؛ كان ذلك لأني لم أحب أحدًا بحق، فمنذ اليوم الذي نحب فيه أحدًا نتوقف عن كوننا سعداء." ثم انفجر في البكاء.

وهمس صوت من الفناء: "أويفيند ! أويفيند ! " فتوقف أويفيند واستمع.

"أويفيند " وكُرِّرت مرة أخرى، بصوت أعلى قليلاً، ففكر: "لابد أنها هي."

فأجاب هامساً هو الآخر: "نعم" ثم تقدم إليها وهو يمسح عينيه بسرعة، فتسللت امرأة بخفة إلى المزرعة.

وسألت: "هل أنت هناك؟"

فأجابها وهو واقف: "نعم"

"من معك ؟"

"هانز"

لكن أراد هانز حينها أن يذهب.
فرجاه أويفيند: "لا! لا!"
واقتربت منهما ببطء، وكانت ماريت بالفعل.
قالت لأويفيند: "لقد رحلت مبكراً جداً."
ولم يعرف بم يجيبها ولهذا أصبحت ماريت أيضاً محرَجة، وصمت ثلاثتهم، لكن تمكن هانز من التسلل تدريجياً، وظل الاثنان بالخلف لا ينظر أيٌّ منهما للآخر ولا يتحرك أيٌّ منهما، ثم همست ماريت أخيراً:
"لقد ظللت محتفظة لك ببعض مأكولات الكريسماس طوال المساء في جيبي يا أويفيند، ولكن لم تتح لي الفرصة من قبل لأعطيك إياهم."
وأخرجت بضعة تفاحات، وقطعة من الكعك من المدينة وزجاجة نصفها مملوء وضعتها في يده وقالت أنه يمكنه الاحتفاظ بها.
وأخذهم أويفيند.
وقال وهو يمد يده: "شكراً" وكانت يدها دافئة فترك يدها على الفور وكأنها قد أحرقته.
وغمغم: "لقد رقصت كثيراً هذا المساء."
فأجابت: "نعم فعلتَ" ثم أضافت "لكن... أنت ... لم ترقص كثيراً"
فرد عليها: "لم أفعل."
"ولِمَ لَم ترقص؟ياه... يا أويفيند !"
"نعم"
"لِمَ جلست تنظر إليَّ هكذا؟ "
"يَاه.. يا ماريت!"
"ماذا ؟! "

"ما الذي لم يعجبك في أن أنظر إليك؟ "
"كان هناك الكثير من الناس."
"رقصتِ كثيراً مع جون هاتلن هذا المساء."
"نعم فَعلت."
"إنه يرقص جيدًا."
"هل تظن ذلك ؟"
"يااه، نعم، لا أعرف كيف، لكني لم أقدر أن أتحمل أن ترقصي معه هذا المساء يا ماريت."
واستدار؛ فقد كلفه الأمر كثيراً كي يقول ذلك.
"أنا لا أفهمك يا أويفيند."
"ولا أنا أفهم نفسي، إنه غباء مني، مع السلامة يا ماريت فأنا سأذهب الآن."
وأخذ خطوة إلى الأمام دون أن ينظر جانبه، فنادته.
"إنك مخطئ في تفسير ما رأيت. "
فتوَّقف.
"كونكِ أصبحت آنسة بالفعل ليس خطأً. "
ولم يقُل ما كانت تتوقعه، لذا صمتَتْ، لكنها رأت ضوء غليون أمامها مباشرة في هذه اللحظة، وكان هذا جدَّها. والذي كان قد انعطف لتوه وكان آتيًا في هذا الطريق، ثم وقف.
"هل أنتِ هنا يا ماريت؟ "
"نعم"
"مع من تتحدثين؟ "
"مع أويفيند "
"مع من تقولين؟ "
"أويفيند بلادسِن"

"ياه ! ابن الخادم في بلادسِن، تعالي وادخلي معى في الحال. "

obeikandl.com

الفصل الخامس
♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

فتَّح أويفيند عينيه في الصباح التالي بعد أن نال قسطاً طويلاً من النوم وحلم أحلاما سعيدة؛ فلقد رأى ماريت مستلقية على الجرف تقذف أوراق الأشجار عليه بالأسفل وهو يمسك بالأوراق ويقذفها عليها من جديد، وأخذت الأوراق تتنقل من أعلى إلى أسفل وتتغير ألوانها وأشكالها في كل مرة، وكانت الشمس ساطعة وأخذ الجرف كله يلمع إثر أشعتها، وعندما استيقظ أويفيند نظر حوله ليجد كل شئ قد اختفى، ثم تذكر اليوم السابق فأصابه الألم الحارق القاسي في قلبه في الحال، وفكر: "أبداً لن أستطيع أن أتخلص من هذا." واعتراه حينها شعور باللامبالاة وكأن مستقبله بأكمله قد انهار.

وقالت أمه التي كانت تغزل بجانبه: "لقد نمت وقتاً طويلاً، قم الآن وتناول فطورك، فأبوك بالغابة يقطع الأخشاب."

وبدا الأمر وكأن صوت أمه ساعده، فنهض متشجعاً أكثر من ذي قبل بمقدار قليل. ولاشك في أن أمه كانت تفكر في الأيام التي كانت ترقص فيها، فلقد جلست تغني على صوت ماكينة الغزل أثناء ما كان يرتدي ملابسه ويأكل فطوره، ولقد جعلته همهمة أمه ينهض من الطاولة أخيراً ويذهب إلى النافذة، وتملكه الآن نفس الفتور والإحباط اللذان شعر بهما من قبل، وأُجبِر على أن يقوم ويفكر في العمل، ولقد تغير الطقس وأصبح الهواء بارداً جداً حتى إن ما أنذر به الأمس من هطول المطر أصبح ثلجًا اليوم، وارتدي أويفيند جوارب الثلج خاصته وقبعة من الفراء وسترة وقفاز الصياد وودّع أمه وانطلق وفأسه على كتفه.

تساقط الثلج ببطء في رقائق كبيرة مبللة، وأخذ أويفيند يتسلق تل التزلج حتى ينعطف يساراً إلى الغابة، ولم يحدث أبداً سواء صيفـًا أم شتاءً أن تسلق أويفيند هذا التل دون أن يتذكر شيئًا يجعله سعيداً أو شيئًا يتطلع إليه، لكنها الآن كانت تمشية كئيبة ومملة، وانزلق على الثلج الرطب فقد كانت ركبتاه متخشبتين إما بسبب حفلة الأمس أو بسبب اكتئابه، وشعر أن أمر تل التزلج قد انتهى لهذا العام بل وإلى الأبد. اشتاق إلى شيء مختلف بينما كان يشق طريقه بحذر وسط جذوع

الأشجار حيث يسقط الثلج بهدوء، صرخ طائر مذعور من طيور الترمجان وأخذ يرفرف لبضعة ياردات بعيدًا، لكن كل شيء ظل ساكنًا فيما عدا ذلك وكأنه ينتظر كلمة لم تُنطَق أبدًا. لكن ماذا كانت طموحاته؟ لم يعرف أويفيند بالتحديد، فهي لم تكن تخص المنزل ولا السفر ولا المتعة ولا العمل لكن شيئًا عاليًا جدًا يحلِّق مرتفعًا مثل أغنية، وسرعان ما تركز كل شيء في رغبة واحدة ومحددة، وهي أن يتم تثبيته في الربيع وهكذا يصبح الأول، وأخذ قلبه يخفق بشدة بينما كان يفكر بالأمر، وقبل حتى أن يسمع فأس أبيه في الأشجار الصغيرة المرتعشة تغلغلت هذه الأمنية بداخله بقوة أكثر من أي شيء عرفه في حياته بأكملها.

وكعادته لم يكن لدى أبيه الكثير ليقوله له، وأخذا يقطعا الخشب هما الاثنان ويسحبانه ليضعاه في أكوام، وكانا يجمعان قدرًا بين الحين والآخر وفي إحدى المرات علَّق أويفيند بنبرة حزينة: "على الخادم أن يعمل بجهدٍ شاق."

فقال أبوه بينما بصق في كفه وأخذ الفأس مجدداً: "مثله مثل الآخرين."

وعندما قطع الأب الشجرة وسحبها إلى الكومة قال أويفيند: "إذا كنت حارسًا لن يكون عليك أن تعمل عملاً شاقاً."

فقال الأب وهو يمسك بالفأس بيديه الاثنتين: "ياه ! لا شك ستكون هناك أشياء أخرى لتضايقنا."

وأتت إليهما الأم ومعها العشاء من أجلهما ثم جلسوا جميعًا، وكانت الحالة المزاجية للأم جيدة، فجلست تهمهم وتضرب الأرض بقدميها.

وقالت فجأة: "ماذا تريد أن تصبح عندما تكبر يا أويفيند ؟"

فأجاب: "كابن خادم، ليس هناك الكثير من الفرص."

فقالت: "يقول المعلم إنه يجب أن تذهب إلى المعهد اللاهوتي."

فاستفسر أويفيند: "هل يستطيع الناس الذهاب مجانًا ؟"

فأجاب الأب الذي كان يأكل: "قد نتمكن من دفع المصاريف من صندوق المدرسة."

وسألت الأم: "هل تريد أن تذهب ؟"

فأجاب: "أريد أن أتعلم شيئاً، ولكن ليس لأصبح معلمًا."

وصمت الجميع لفترة ثم همهمت الأم مجدداً وحدَّقت أمامها، لكن أويفيند تركهم وجلس وحده.

فقالت الأم عندما رحل الفتى : "نحن لا نحتاج لنقترض من صندوق المدرسة. "

فنظر إليها زوجها.

"ونحن أناس فقراء كما نحن ؟"

"أنا لا يعجبني يا ثُور قولك على نفسك دائمًا بأنك فقير في حين أنك لست كذلك."

واختلس كلاهما النظر إلى أسفل خلف ابنهما ليريا إذا ما كان يستطيع سماعهما، ونظر الأب إلى زوجته بحدة. وقال : "تتحدثين وكأنك حكيمة جدًا."

فضحكت.
وقالت بلهجة جادة : "إن الأمر تماماً مثل عدم شُكر الرب أننا قد اغتنينا."
فعلّق الأب : "نحن بالطبع نستطيع أن نشكره دون أن نرتدي أزرارًا فضية."
"نعم لكن تركنا لأويفيند يذهب إلى الحفلة الراقصة بالملابس التي كان يرتديها بالأمس ليس شكرًا للرب أيضًا."
"إن أويفيند ابن خادم."
"هذا ليس سببًا يجعله لا يرتدي ملابس مناسبة في حين أننا نقدر على شرائها."
"تحدثي عن الأمر حتى يستطيع أن يسمع بنفسه!"
فقالت : "إنه لا يسمع لكني أريده أن يفعل." ونظرت بجرأة إلى زوجها الذي أصبح عابسًا ووضع ملعقته ليأخذ غليونه.
قال الرجل : "نحن نمتلك سكن خادم فقير."
"يجب أن أضحك منك، تتحدث دائمًا عن السكن، لماذا لا تتحدث أبدًا عن الطواحين؟"
"ياه ! أنت والطواحين، أعتقد أنك لا تستطيعين أن تسمعيها تعمل."
"بلى أستطيع حمدًا للرب، حتى إذا عملت ليلاً ونهاراً."
"إنها متوقفة الآن منذ ما قبل الكريسماس."
"إن الناس لا يطحنون هنا قرابة وقت الكريسماس."

"إنهم يطحنون عندما يكون هناك ماء، لكن منذ أن أصبحت هناك طاحونة في "نيوستريم". أصبحت الأمور سيئة هنا."

"لم يقل المعلم ذلك اليوم."

"يجب أن أحصل على شخص أكثر كتمانًا من المعلم ليدبر أمر أموالنا."

"نعم يجب أن يتحدث مع زوجتك أقل من أي شخص."

ولم يجب "ثور" على ذلك، وأشعل غليونه فقط، والآن – وبعد أن استلقى على حزمة عُصيّ – ترك عينيه تتحول عن زوجته أولاً ثم عن ابنه، وركزهما على عش لغراب عجوز كان معلقًا في غصن بالأعلى ونصفه مقلوب.

جلس أويفيند وحده ومستقبله ممدد أمامه كسطح ثلجي طويل أملس، ولأول مرة يرى نفسه يندفع بقوة من شاطئ إلى آخر. وشعر أن الفقر يحيطه من كل جانب، ولهذا السبب عقد عزمه على أن يقهر هذا الفقر. ولا شك في أن ماريت انفصلت عنه للأبد واعتبرها شبه مخطوبة إلى جون هاتلن، لكنه قرر أن ينافسه وينافسها في الحياة كلها، وأنه لن يحدث مجدداً أن يصُدَّه أحد كما حدث معه أمس؛ ولهذا سوف يتنحى جانباً حتى يصنع من نفسه شيئا، احتلت كل هذه الأفكار رأسه ولم يظهر أمامه شك واحد في أنه سوف ينجح، وكانت لديه فكرة مبهمة أنه سوف يصبح أفضل من خلال الدراسة، لكن إلى أي هدف ستقوده الدراسة ذلك سوف يتدبره لاحقًا.

وجاء الأطفال إلى التل مساءً ليتزلجوا لكن أويفيند لم يكن معهم، فجلس يقرأ عند الموقد شاعرًا بأنه ليس لديه لحظة ليضيعها، وانتظر الأطفال طويلاً وفي النهاية فقد بعضهم صبره واقتربوا من المنزل ووضعوا وجوههم أمام ألواح النافذة الزجاجية، وأخذوا يصيحوا، لكن أويفيند تظاهر بأنه لم يسمعهم، وجاء آخرون وظلوا منتظرين بالخارج مساءً وراء مساء وهم مندهشون بشدة، لكن أويفيند أدار ظهره لهم واستكمل القراءة وهو يحاول جاهدًا بصدق أن يستجمع معاني الكلمات، وسمع بعد ذلك أن ماريت لم تكن هناك أيضًا، وكان يقرأ باجتهاد أجبر والده على أن يقول إنه يبالغ. وأصبح أويفيند حزيناً ووجهه الذي كان مستديرًا وناعمًا وحادًا، وأصبحت عيناه أكثر عنادًا، ولم يعد يغني ولا يلعب أبدًا، وبدا وكأن الوقت المناسب لن يأتي أبدًا، وعندما كان يكتنفه إغراء أن يفعل ذلك، كان يشعر بأن أحداً يهمس: "لاحقًا لاحقًا " ودائمًا "لاحقًا !". وأخذ الأطفال لفترة يتزلجون ويضحكون كما في الماضي، لكنهم وجدوا ملاعب أخرى عندما فشلوا في أن يجذبوه إليهم بالخارج إما من خلال حبه الشخصي للتزلج، أو من خلال الصراخ له ووجوههم الملتصقة بألواح النوافذ الزجاجية وسرعان ما هُجر التل.

لكن المعلم لاحظ سريعاً بأن هذا ليس أويفيند الذي يقرأ؛ لأنه حان دوره ليلعب لأنها ضرورة، وكثيرًا ما تحدّث معه ولاطفه وحثه، لكنه لم ينجح في الوصول لقلب الفتى بسهولة كما كان يفعل في الماضي، وتحدث المعلم أيضًا مع أبويه وكانت نتيجة التشاور هي أن جاء

المعلم ذات مساء يوم أحد في أواخر الشتاء وبعد أن جلس لفترة قال:
"تعال الآن يا أويفيند، هيا لنخرج فأنا أريد أن أتحدث معك."
فارتدى أويفيند ملابسه وذهب معه ومضيا في طريقهما ناحية مزارع الـ"هايديجاردز"، ودار بينهما حديث خفيف لا يدور حول شيء معين، وعندما اقتربا من المزارع انعطف المعلم في اتجاه مزرعة تقع في المنتصف، وعندما تقدم إلى الأمام قليلاً قابلهم صوت الصياح والمرح.
وسأل أويفيند: " ماذا يحدث هنا ؟"
فقال المعلم : "حفلة راقصة، لم لا ندخل؟"
"لا"
"ألا تريد أن تشارك في الرقص يا فتى ؟"
"لا ليس بعد."
"ليس بعد؟ متى إذًا ؟"
فلم يجب أويفيند .
"ماذا تقصد بجملة ليس بعد ؟"
وبما أن الشاب لم يجب، قال المعلم :
"هيا الآن، كفى هراء."
"لا، لن أذهب."
كان أويفيند مصممًا بشدة وقلقًا في الوقت نفسه.
"فكرة: أن يقف معلمه هنا، ويرجوه أن يذهب للرقص"
وساد صمت طويل،
"هل يوجد أحد بالداخل تخشى رؤيته ؟"

"أنا متأكد من أني لا أعرف أيًّا ممن قد يكونوا بالداخل ؟"
"هل يوجد هناك احتمال أن يكون هناك شخص ما ؟"
فصمت أويفيند، وحينها سار إليه المعلم ووضع يده على كتفه وقال :
"هل أنت خائف من أن ترى ماريت ؟"
فنظر أويفيند إلى أسفل وتسارعت وثقلت أنفاسه.
"قل يا أويفيند يا بني؟"
فلم يجب أويفيند.
"ربما تخجل أن تعترف بذلك بما أنه لم يتم تثبيتك بعد، لكن قل لي برغم ذلك ولن تندم يا عزيزي أويفيند."
رفع أويفيند عينيه لكنه لم يستطع أن ينطق بالكلمة، وترك عينيه تسرحان بعيدًا.
"أنت أصبحت غير سعيد مؤخراً، هل هي تهتم بأحد غيرك أكثر منك؟"
وظل أويفيند صامتًا، فاستدار عنه المعلم وهو يشعر قليلاً بأنه جُرِح، ثم عادا من حيث أتيا.
وبعد أن سَارا لمسافة طويلة، توقف المعلم طويلاً بما يكفي لينتظر وصول أويفيند إلى جانبه.
وقال: "أعتقد أنك متشوق جداً إلى أن يتم تثبيتك."
"نعم."
"ماذا تفكر أن تفعل بعد ذلك؟"
"أريد أن أذهب إلى المعهد."
"ثم تصبح معلمًا ؟"
"لا"

"لا تظن أن هذا أمرًا عظيمًا بما يكفي؟"
فلم يجب أويفيند وسارا مجدداً لمسافة أخرى.
"ماذا ستفعل بعد التخرج من المعهد؟"
"لم أفكر في الأمر بشكل كاف."
"أستطيع أن أقول إنه إذا كان لديك المال لوددت أن تشتري لنفسك مزرعة."
"نعم، لكن مع احتفاظي بالطواحين."
"إذًا من الأفضل لك أن تلتحق بالمدرسة الزراعية."
"هل يتعلم التلاميذ هناك بقدر ما يتعلمون في المعهد؟"
"ياه، لا ! لكنهم يتعلمون ما يستفيدون منه لاحقـًا."
"هل يوجد ترتيب ودرجات هناك أيضًا؟"
"لماذا تسأل؟"
"أريد أن أكون طالبًا متميزًا؟"
"بكل تأكيد تستطيع أن تكون هكذا دون الترتيب والدرجات."
ثم سارا في صمت مجددًا حتى رأيا بلادسن وكان النور مضاءً بالمنزل، أما الجرف الذي يطل عليه فقد كان معتمًا فالآن مساء أحد الليالي في الشتاء وكانت البحيرة مغطاة بجليد أملس لامع، لكن لم يكن هناك ثلج في الغابة يحفّ الخليج الصامت، وكان القمر سابحًا فوقهم يعكس ظل أشجار الغابة على الجليد.
وقال المعلم : "إن المكان هنا في بلادسن جميل."
وكانت هناك أوقات يستطيع أويفيند فيها أن ينظر بالعين نفسها التي كان ينظر بها عندما كانت أمه تحكي له حكايات الأطفال، أو بالرؤية التي كانت لديه عندما

كان يتزلج على جانب التل، والآن إحدى هذه الأوقات؛ فكل شيء صافٍ ونقيٌّ أمامه.

وقال : "نعمً إنه جميل." لكنه تنهِّد.

"إن أباك وجد كل شئ أراده في هذا المنزل، وأنت أيضاً يمكن أن تكون سعيداً هنا."

واختفى الجانب السعيد لهذه البقعة فجأة، ووقف المعلم وكأنه ينتظر إجابة، وعندما لم يتلق أية إجابة هزّ رأسه ودخل المنزل مع أويفيند، وجلس لفترة مع الأسرة لكنه كان صامتًا أكثر مما كان متحدثًا، وهكذا أصبح الآخرون صامتين بدورهم، وعندما استأذن المعلم أتبعه كلٌّ من الأب والأم إلى خارج الباب، وبدا الأمر وكأن كليهما يتوقعا أن يقول لهما شيئًا ولكنه في هذه الأثناء وقف محدقًا إلى أعلى في ظلمة الليل.

وقالت الأم أخيراً : "أصبح المكان هنا هادئًا بشدة منذ أن تخلى الأطفال عن ممارسة رياضتهم هنا."

فقال المعلم : "وأنتم لم يعد لديكم طفل بالمنزل الآن. "

وفهمت الأم ماذا يقصد.

وقالت : "أصبح أويفيند غير سعيد مؤخرًا."

"آه، لا ، الطموح لا يعرف السعادة أبداً." وحدَّق في سماء الدنيا الواسعة بهدوء رجل كبير السن.

الفصل السادس
♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

جلس المرشحون للتثبيت من الأبرشية الرئيسية في قاعة الخادمين ببيت الكاهن بعد نصف عام من الأحداث السابقة - وكان ذلك في فصل الخريف؛ حيث تم تأجيل التثبيت إلى ذلك الوقت – ينتظرون الاختبار وكان من ضمنهم أويفيند بلادسن وماريت هايديجاردز. خرجت ماريت لتوها من عند القس الذي سلّمها كتابًا كبيرًا وأثنى عليها،

أخذت تضحك وتثرثر مع صديقاتها

من الفتيات اللاتي كن يجلسن حولها، وكانت تنظر حولها لترى من بين الفتيان. أصبحت ماريت فتاة ناضجة وهادئة وصريحة في حديثها بشكل عام، وكان الفتيان يعلمون مثلهم مثل الفتيات أن جون هاتلن - أفضل شريكٍ حياة متوقع في الأبرشية - يتودد إلى ماريت، حسناً لتكن سعيدة بينما تجلس هناك. ووقف بعض الفتيان والفتيات الذين لم يجتازوا الاختبار عند الباب يبكون بينما كانت ماريت وأصدقاؤها يضحكن، وكان من بين من يبكون فتى صغير يرتدي حذاء أبيه ذو الرقبة الطويلة ومنديل أمه الخاص بيوم الأحد.

وأخذ ينتحب قائلاً : "يا إلهي ! يا إلهي ! لا أجرؤ على أن أعود للمنزل."

وغمر هذا المشهد أولئك الذين لم يدخلوا بعد إحساس بالشفقة وساد صمت في المكان. وامتلأت قلوبهم وأعينهم بالقلق ولم يستطيعوا أن يروا بوضوح ولا أن يبتلعوا ريقهم، رغم أنهم يشعرون باستمرار بالرغبة في ابتلاع ريقهم.

جلس أحدهم يتذكر ما يعرفه، وبالرغم من أنه منذ بضع ساعات مضت اكتشف أنه يعرف كل شيء إلا أنه وجد نفسه لا يعرف شيئًا ولا حتى كيف يقرأ كتابًا.

ولخّص قائمة آخر ذنوبه منذ الوقت الذي أصبح فيه كبيرًا بدرجة كافية أن يتذكر حتى الآن، ثم فكر في أنه لن يكون أمرًا لا يصدق أبداً إذا حكم الرب أنه ينبغي رفضه.

وجلس ثالث يلاحظ كل شيء من حوله: إذا لم تدق الساعة التي كانت على وشك أن تدق أولى دقاتها قبل

أن ينتهي من العد حتى عشرين فسوف يجتاز الاختبار، إذا تأكد من أن الشخص الذي سمع صوته في الممر هو "لارس" فتى المزرعة فسوف يجتاز الاختبار، إذا وصلت قطرة المطر الكبيرة التي تتدحرج على لوح النافذة الزجاجي إلى إطار النافذة سوف ينجح، أما الدليل الأخير والقاطع كان إذا استطاع هو نفسه أن ينجح في أن يلّف قدمه اليمنى على قدمه اليسرى وذلك شبه مستحيل أن يستطيع فعل ذلك.

واقتنع الرابع أنه إذا تم سؤاله فقط عن يوسف في التاريخ وعن التعميد في كتاب المبادئ الدينية أو عن الملك شارل أو عن الواجبات المنزلية أو عن المسيح أو عن الوصايا العشر أو عن .... وظل جالسًا يتدرب حتى سمع اسمه ينادى عليه.

واهتم الخامس اهتمامًا خاصًا بـ"عظة الجبل"؛ ذلك لأنه حلم بـ "عظة الجبل"، وتأكد من أنه سيتم سؤاله في "عظة الجبل"، وظل يردد"عظة الجبل" لنفسه، وكان عليه أن يخرج ويقرأ "عظة الجبل"، في حين أنه سئل في الأنبياء والرسل عندما تمت مناداته.

أما السادس ففكر في القس الذي كان رجلاً رائعًا ويعرف أبيه جيدًا، وفكر أيضًا في المعلم الذي كان له وجه طيب، وفي الرب الذي كله طيبة ورحمة والذي أعان الكثيرين من قبل مثل يعقوب ويوسف، ثم تذكر أن أمه وأخوته وأخواته موجودون بالمنزل يصلون من أجله، الأمر الذي لابد أن يساعده.

وتخلى عن السابع عن كل ما تمنى أن يحصل عليه في هذا العالم، ففي مرة فكر أنه يريد أن يصبح ملكًا، ومرة

إلى درجة قائد عسكري أو قس، لكن هذا الوقت انقضى، لكن حتى اللحظة التي جاء فيها إلى هنا كان يفكر في الذهاب إلى البحر وأن يصبح قبطانًا أو ربما قرصانًا ويصبح عنده ثروات هائلة، والآن تخلى عن هذه الثروات ثم عن القرصنة ثم عن حلم القبطان ثم عن حلم نائب القبطان، ثم توقف عند حلم البحار وعلى الأكثر كبير ملاحّي السفينة بالطبع، ومن المحتمل ألا يذهب إلى البحر مطلقًا لكن ليتخذ مكان خادم في مزرعة أبيه.

أما الثامن فكان متأملاً أكثر بشأن نفسه لكنه لم يكن واثقًا، وفكر في الملابس التي سيرتديها حتى يتم تثبيته فيها، وكان يتسائل فيما سيستخدم هذه الملابس إذا لم ينجح، لكن إذا نجح فسيذهب إلى البلدة ليشتري بذلة جوخ ويعود إلى بيته للرقص في الكريسماس؛ ليثير غيظ وحقد كل الفتيان وإعجاب كل الفتيات.

وأخذ يفكر التاسع بشكل آخر حيث أعدّ دفتر حساب صغير مع الرب مكتوب على أحد جانبيه "دائن" لابد أن يجعلني أنجح، وعلى الجانب الآخر "مدين" لن أكذب مرة أخرى ولن أنّم على شخص آخر بعدها، وسأذهب إلى الكنيسة دوماً، وأدع الفتيات وشأنهن، وأن أتوقف عن قول الشتائم.

بينما فكر العاشر أنه طالما نجح "أوليبه هانسن" في العام الماضي فسوف يكون ظلمًا كبيرًا ألا ينجح هو هذا العام، وهو أفضل منه في الدراسة دومًا والأكثر من ذلك أنه من عائلة أفضل.

وجلس الحادي عشر إلي جانبه يفكر في أشر خطط الانتقام المقلقة بشدة في حال أنه لم ينجح: "إما أن يحرق المدرسة أو أن يهرب من الأبرشية بأكملها ويعود مجدداً كالقاضي الذي يُدين القس علنـًا ولجنة المدرسة بأكملها" لكن يسمح بمنتهى الكَرم أن تحل الرحمة محل العدل، وبداية سوف يخدم في منزل القس الموجود بالأبرشية المجاورة، ومن ثم يصبح رقم واحد في العام المقبل وسيجيب على الأسئلة حتى تندهش الكنيسة بأكملها.

لكن الثاني عشر جلس وحده أسفل الساعة ويداه الاثنتان موضوعتان في جيبه ينظر بأسىً إلى الجميع، لا يعلم أحد هنا أي حمل يتحمل وأية مسئولية تقع على عاتقه. ويوجد شخص واحد بالمنزل يعرف... أنه خطيب فتاة ما، وكان هناك عنكبوت كبير ذو أرجل طويلة يزحف على الأرض واقترب من قدم الفتى الذي كانت عادته أن يدهس هذه الحشرة البغيضة لكنه رفع قدمه اليوم بمنتهى الطيبة حتى يذهب العنكبوت بسلام إلى حيث يتجه. وأصبح صوته لطيف وكأنه صلاة افتتاحيه، وعيناه تقولان باستمرار إن جميع الناس طيبون، وتحركت يداه بتوا ضع وخرجت من جيبه إلي شعره ليمررها بين شعره بلطف. إذا استطاع أن ينزلق بخفة من خلال ثقب الإبرة الخطير هذا سوف يصبح كبيرًا لا شك ويمضغ التبغ ويعلن خطبته.

وجلس الثالث عشر القلق على مقعد منخفض ورجلاه ممدتان أسفل منه، وعيناه الصغيرتان اللامعتان ينتقلان حول الغرفة ثلاث مرات في الثانية الواحدة، وبرأسه

الانفعالي العنيد أخذ يعصف مزيج أفكار الاثنى عشر الآخرين في تشوش متنافر من أكبر أمل إلى الشك الأكثر سحقًا، ومن أكثر القرارات تواضعًا إلى أكثر خطط الانتقام تدميرًا، وفي هذه الأثناء كان قد أكل الجلد الميت الذي يحيط بسبابته اليمنى وانشغل بأظافره يلقي بأجزاء كبيرة منها على الأرض.

أما أويفيند فجلس بجانب النافذة، حيث يجلس بالأعلى وأجاب عن جميع الأسئلة التي وجهت إليه لكن القس لم يقل شيئاً له ولا حتى المعلم، وظل يفكر أكثر من ستة أشهر فيم سيقوله كل منهما عندما يعرفا كيف أنه اجتهد بشدة، لكنه شعر الآن بأنه محبط بشدة ومجروح أيضًا وجلست ماريت هناك وهي التي حصلت على التشجيع والمكافأة، رغم أنها اجتهدت أقل منه بكثير كما كانت معرفتها أقل بكثير أيضًا، أما أويفيند فكافح فقط من أجل أن يعلو في نظرها، والآن هي التي فازت بما اجتهد هو وأنكر ذاته ليحصل عليه، أما ضحكها وهزلها أحرق قلبه والحرية التي تتحرك بها تؤلمه بشدة، وحرص على تجنب التحدث معها منذ الحفلة الراقصة، وظن أن الأمر سيستغرق سنوات، لكن رؤيته لها جالسة هناك في منتهى السعادة والرفعة طرحته أرضًا وتساقطت كل آماله الطموحة كأوراق الشجر بعد هطول المطر.

وحاول أن ينفث عن نفسه هذا الإحباط، وانتظر لأن كل شيء كان يعتمد على كونه أصبح الأول أم لا. ومن عادة المعلم أن يظل مع القس قليلاً بعض مضي الأطفال ليرتب معه ترتيب الصغار، وأن يذهب إليهم بعد ذلك

ليعلن النتيجة، ولم يكن هذا هو القرار الأخير للترتيب بل ما اتفق عليه المعلم والقس مؤقتًا. وأصبح الحديث بين الأطفال أكثر حيوية بعد أن انتهى اختبار عدد لا بأس به من الأطفال ونجاحهم، لكن ميز الطموحون أنفسهم عن السعداء، وقد رحل السعداء حالما وجدوا الصحبة ليُعلموا أهاليهم بمستقبلهم الجيد، أو انتظروا من أجل الآخرين الذين لم يتم اختبارهم بعد، أما الطموحون فكانوا على العكس، وظلوا صامتين وأعينهم معلقة في ترقُّب على الباب.

وبعد فترة كان جميع الأطفال دخلوا، ونزل الأخير، ولابد وأن المعلم يتحدث الآن مع القس، وخطف أويفيند نظرة إلى ماريت وكانت سعيدة كما كانت من قبل، لكنها ظلت في مقعدها إما من أجل المرح أو من أجل شخص آخر لم يعرف أويفيند، كم أصبحت ماريت جميلة إنه لم يرَ بشرة جميلة مبهرة هكذا، كان أنفها مرتفع قليلاً ودائمًا ما كانت هناك ابتسامة رقيقة وجذابة بفمها، وكانت تُبقي عينيها نصف مفتوحتين عندما لا تنظر إلى أحد مباشرة؛ ولذلك كان لنظرتها دائماً قوة غير مفهومة عندما تقع على أحد وهي تبتسم، كان شعرها غامقً وكان مموجًا ومنسدلاً على صدغيها حتى حاجبيها، حتى إنه مع عينيها نصف المفتوحتين مما يعطي وجهها تعبيرً خفيًّا لا يكلّ الشخص أبداً من التمعن فيه، ولم يبدُ الأمر أكيدًا إلى من تنظر عندما تكن جالسة وحدها أو وسط آخرين، ولا ما يدور في ذهنها عندما تستدير لتتحدث إلى أي شخص، فهي تأخذ كل ما تعطيه على الفور، وفكر أويفيند : "إن جورج هاتلن مختبئ وراء كل

هذا." لكنه ظل يحدق فيها رغم هذه الفكرة، والآن جاء المعلم فترك الجميع أماكنهم وانقضوا عليه، قائلين:
"أي رقم أنا ؟ .....وأنا؟ .... وأنا ؟"
"صمتًا أيها الصغار الذين صاروا كبارًا، لا أريد ضجيجًا هنا اصمتوا فسوف تسمعون أيها الأطفال." ونظر حوله ببطء ثم قال إلي الفتى ذو عينين زرقاوين كان يحدق فيه بمنتهى التوسّل "أنت رقم اثنين." فخرج الولد من الدائرة. ثم نقر على فتى نشيط ذو شعر أحمر وقف يجذب سترته : "أنت رقم ثلاثة." ، "أنت رقم خمسة" ، "أنت رقم ثمانية" ، وهكذا ، ثم لمح ماريت فقال لها : "أنت الأولى على الفتيات." فاحمر وجهها ورقبتها لكنها حاولت أن تبتسم، "أنت رقم اثنا عشر، كنت كسولاً مزعجًا، يا أيها المحتال" ، "وأنت الحادي عشر؛ لم يكن متوقع ما هو أفضل من ذلك يا بني"، "أنت رقم ثلاثة عشر، يجب أن تذاكر جيدًا وتأتي الاختبار القادم أو سوف تسوء الأمور معك !"
ولم يستطع أويفيند أن يتحمل الأمر أكثر من ذلك، فرقم واحد لم يذكر بكل تأكيد، وكان واقفًا طوال الوقت حتي يراه المعلم.
"أيها المعلم ! " لم يسمع المعلم، "أيها المعلم ! "، كان على أويفيند أن يكررها ثلاث مرات قبل أن يسمعه المعلم، وأخيرًا نظر إليه.
وقال له المعلم : "أنت رقم تسعة أو عشرة لا أتذكر أيهما." ثم التفت إلى آخر فاستفسر هانزصديق أويفيند الأفضل : "من هو رقم واحد إذاً ؟" فقال المعلم وهو ينقر على رأسه بلفافة من ورق : "ليس أنت يا ذا الشعر

المجعد." فتسائل الآخرون : "من هو إذن ؟ من هو ؟ نعم من هو ؟" فأجاب المعلم بعبوس : "سوف يعرف ذلك صاحب الرقم." وقال إنه لن يجيب عن المزيد من الأسئلة : "والآن اذهبوا إلي منازلكم بهدوء يا أطفال، اشكروا ربكم وادخلوا السرور على أهاليكم، واشكروا معلمكم العجوز فلولاه لكنتم في ورطة."

فشكروه وضحكوا وذهبوا مبتهجين لأنهم شعروا جميعهم بالسعادة في هذه اللحظة عندما كانوا على وشك أن يعودوا إلي أهاليهم بالمنزل، وظل واحد فقط متخلف عنهم لم يستطع أن يجد كتبه في الحال، وعندما وجدها جلس وكأنه واجب عليه أن يقرأها كلها من جديد.

فذهب إليه المعلم : "حسناً يا أويفيند، ألن تذهب مع الآخرين ؟" ولم يسمع إجابة.

"لماذا تفتح كتبك ؟"

"أريد أن أعرف ما الذي أجبته خطأً اليوم."

"لم تجب شيئاً خطأ."

وحينها نظر إليه أويفيند والدموع تملأ عينيه، لكنه حدق في المعلم بتمعن بينما تدحرجت الدموع واحدة تلو الأخرى على وجنتيه ولم يقل كلمة واحدة، فجلس المعلم أمامه.

"ألست سعيدًا لأنك نجحت ؟"

وارتعشت شفتاه لكنه لم يجب.

فقال المعلم : "سوف يكون أباك وأمك سعيدين جدًا." ونظر إلى أويفيند.

وجاهد الفتى بقوة حتى يستطيع النطق، وأخيراً سأل بصوت منخفض متقطع:
"هل.. حصلت.. على الترتيب..التاسع أو العاشر لأنني ابن خادم ؟"
فأجاب المعلم : "لا شك في ذلك."
فقال أويفيند وهو حزين :
"إذن لا فائدة من أن أعمل."
وتلاشت أحلامه الوردية، ورفع رأسه فجأة ورفع يده اليمنى وأنزلها على الطاولة بكل ما أوتى من قوة، وألقى بنفسه إلى الأمام وانفجر في البكاء.
وتركه المعلم هكذا ينتحب وينتحب ما دام يرغب في ذلك، وظل هكذا طويلاً، لكن المعلم انتظر حتى تحول النحيب إلى نحيب طفوليّ، ثم أمسك رأس أويفيند بيديه ورفعها وحدّق في الوجه الملطخ بالدموع.
وقال وهو يقرّب الفتى منه بحنان : "هل أنت مؤمن أن الرب هو الذي كان معك الآن ؟"
وكان أويفيند لا يزال ينتحب لكن ليس بالقوة التي كان عليها من قبل، بل تدفقت دموعه بشكل أبطأ، لكنه لم يجرؤ على النظر إلى من يسأله ولم يجرؤ على الإجابة حتى.
"كان هذا جزاء تستحقه جيدًا يا أويفيند فأنت لم تذاكر حبًا في الدين أو في والديك إنما ذاكرت لأجل الزهو."
ظل الصمت سائدًا في الغرفة بعد كل جملة ينطق بها المعلم، وشعر أويفيند بنظرة المعلم تستقر عليه، وأنه ذاب وأصبح خجِلاً إثرها.

"لم تكن لتتقدم لتؤدي بالعهد مع إلهك وكل هذا الغضب في قلبك، هل تظن أنه كان يمكنك يا أويفيند ؟"
فتلعثم الفتى ليجيب قدر استطاعته : "لا".
"وإذا وقفت هناك في سعادة يختلط بها الزهو لكونك أصبحت الأول، ألن تكون متقدمًا بذنب ؟"
فهمس أويفيند وشفتاه ترتعشان : "نعم."
"هل لازلت تحبني يا أويفيند ؟"
ونظر إلى المعلم الآن للمرة الأولى وقال : "نعم."
"إذن سأقول لك أنا الذي فعلت بك هذا لأنني أحبك كثيراً يا أويفيند."
فنظر أويفيند إليه وطرف بعينيه عدة مرات وتدحرجت الدموع في تتابع سريع.
"أنت لست غاضب مني لهذا، أليس هكذا ؟"
فقال : "لا" ، وهو ينظر إلى المعلم في وجهه رغم أن صوته كان مخنوقًا.
"بُنيّ، حبيبي سوف أقف بجانبك طيلة حياتي."
وانتظر المعلم أويفيند حتى جمع كتبه ثم قال له إنه سيصطحبه إلى المنزل وسارا معًا ببطء، وفي بداية الأمر كان أويفيند صامتًا وظل الصراع بداخله لكنه استعاد تحكمّه في نفسه تدريجيًّا.
واقتنع بأن ما حدث كان أفضل شيء ممكن أن يحدث له، وأصبح إيمانه بهذا الأمر قويًّا جدًا قبل وصوله إلى المنزل، حتى إنه شكر ربه وأخبر المعلم بذلك.
فقال المعلم: "نعم، الآن نستطيع أن نفكر في تحقيق شيء في الحياة بدلاً من لعب القطة العمياء ومطاردة الأرقام. ماذا عن المعهد ؟"

"أرغب جدًا في الذهاب إلى هناك."
"هل تفكر في المدرسة الزراعية ؟"
"نعم"
"هذا أفضل لا شك، فهي تتيح لك مجالات أخرى غير مهنة المعلم."
"لكن كيف أستطيع أن أذهب إلى هناك ؟" ، "أنا أرغب في ذلك بشدة، لكن ليس لديّ المال الكافي."
"كن مجتهدًا وطيبًا وحينها أستطيع أن أقول سوف يوجد المال."
وشعر أويفيند بأنه مفعم بالعرفان ولمعت عيناه وهدئت أنفاسه وأشرق وجهه بهذا الحب اللانهائي الذي يغمرنا عندما نتلقى طيبة غير متوقعة من إنسان آخر، ونتخيل في مثل هذه اللحظة أننا سنقضي مستقبلنا بأكمله نهيم في الهواء المنعش نطير بخفة أكثر من كوننا نسير على أقدامنا.
وعندما وصلا كان أبواه جالسين بالمنزل منتظرين في هدوء، بالرغم من أن ذلك كان أثناء ساعات العمل ليوم شاق، ودخل المعلم أولاً وأتبعه أويفيند وكلاهما مبتسم.
فقال الأب وهويضع كتاب التراتيل جانبًا الذي كان يقرأ فيه لتوه : "صلاة من أجل مرشح التثبيت." ، "حسنا."
وكانت أمه واقفة بجانب الموقد لا تجرؤ على قول شيء، وكانت تبتسم لكن يدها كانت ترتعش، وكان واضحًا أنها تتوقع أخبارًا جيدة لكنها لم تود أن تظهر ذلك.

"جئت فقط لأسعدكم بهذا الخبر أنه أجاب جميع الأسئلة التي سُئلها وأن القس قال - عندما غادر أويفيند – إنه لم يرَ طالبًا شديد الذكاء مثله."

فقالت الأم وهي : "هل هذا ممكن ؟"

وقال الأب وهو يتنحنح : "حسنًا، هذا جيد."

وبعد أن ساد الصمت قليلاً سألت الأم بلطف : "وعلى أي رقم سيحصل؟"

قال المعلم بهدوء : "تسعة أو عشرة."

فنظرت الأم إلي الأب، ونظر الأب إلى الأم أولاً ثم إلى أويفيند وقال :

"لا يستطيع ابن خادم أن يتوقع أكثر من ذلك."

فنظر أويفيند إلى أبيه بدوره وشعر بشئ في حلقه من جديد، لكنه سرعان ما أجبر نفسه على أن يفكر في أشياء يحبها، واحدة تلو الأخرى حتى زال ذلك الشيء.

وقال المعلم : "والآن يجب أن أذهب." واستدار وهو يومئ برأسه.

فاتبعه الأبوان كعادتهما إلى خارج الباب، وهنا أخرج المعلم مضغة من التبغ وقال وهو مبتسم:

"سوف يصبح رقم واحد رغم كل شيء، لكن من الأفضل ألا يعرف أي شئ حتى يأتي اليوم."

فقال الأب : "لا، لا"

وقالت الأم : "لا، لا" وأومأت برأسها أيضًا ثم أمسكت بيد المعلم وأضافت : "نحن نشكرك لكل ما تفعله من أجله."

وقال الأب : "نعم، نشكرك كثيراً." ومضى المعلم.

وظلا ينظران إليه وهو ماضٍ في طريقه فترة طويلة.

الفصل السابع

ولقد حكم المعلم على أويفيند حكمًا صائبًا حينما طلب من القس أن يجرب ما إذا كان أويفيند سيصمد ليصبح الأول، ولقد ظل المعلك مع الفتى يوميًا خلال الثلاثة أسابيع التى انقضت قبل التثبيت، وإن الانطباع الذي تميل إليه روح رقيقة لشيء، وما يجب أن تحصل عليه من خلال الإيمان لشيء آخر. ولقد حلَّت على أويفيند ساعات كثيرة مظلمة قبل أن يتعلم أن يختار هدف حياته إثر شيء أفضل من الطموح والتحدي، وكثيرًا ما فقد حماسه في خضم العمل وتوقف قليلاً يتسائل لماذا كل هذا ؟علام سيحصل من كل هذا ؟ ثم يتذكر المعلم

حينها كلماته وطيبته ويجبره هذا الوسط الإنساني أن ينهض في كل مرة يسقط فيها لتفكيره في مهمته الأسمى.

وبينما كانوا في بلادسِن هذه الأيام يُعدون لتثبيت أويفيند كانوا يَعدون من أجل رحيله إلى المدرسة الزراعية؛ لأن ذلك كان سيحدث في اليوم التالي للتثبيت.

كان الخياط وصانع الأحذية يجلسان في غرفة الجلوس، والأم تخبز في المطبخ، والأب يعمل بكد واجتهاد، وقد قيل الكثير عما سيتكلفه والدا أويفيند من مال خلال العامين القادمين، وعن كونه لن يستطيع العودة إلى المنزل من أجل الكريسماس الأول وربما الثاني أيضًا، وعن صعوبة فراقهم لهذه الفترة الطويلة، وتحدثوا أيضًا عن الحب الذي يجب أن يكنّه أويفيند لأبويه اللذين كانا مستعدين أن يضحيا بنفسيهما من أجل ابنهما، وجلس أويفيند مثل شخص جرّب أن يبحر في هذا العالم على مسئوليته لكنه تحطَّم وانتشله الآن أناس طيبون.

وهذا هو الشعور الذي يمنحه التواضع الذي يجلب معه أكثر من ذلك، وعندما اقترب هذا اليوم العظيم استطاع أويفيند أن يقول إنه مستعد، واستطاع أيضًا أن يتطلع إلى الأمام بإذعان فيه ثقة، وكلما تجلّت له صورة ماريت دفعها جانبًا بحرص رغم أنه كان يشعر بوخز عندما كان يفعل ذلك، ولقد حاول أن يتدرب على هذا الأمر، لكنه لم يستطع أن يستجمع قوته البتة، بل على العكس لقد كان الألم يزداد، ولذلك كان متعبًا منهكًا مساء أمس وهو يدعو الرب ألا يختبره في هذا الأمر بعد أن اختبر نفسه اختبارًا طويلاً.

جاء المعلم عندما أصبح اليوم قريبًا وجلسوا جميعًا في غرفة الجلوس بعد أن اغتسلوا وارتدوا ملابس نظيفة كما كانت العادة في أي مساء يسبق قداس الصباح أو العشاء الرباني، وكانت الأم مضطربة، والأب صامتًا، فقد كان الرحيل بعد شعائر الغد مباشرة، ومن غير المعروف متى سيستطيعون أن يجلسوا معًا مجددًا، وأحضر المعلم معه كتاب التراتيل وقرأ القدّاس وغنى مع الأسرة وتلى بعد ذلك صلاة قصيرة كما خطرت الكلمات بباله.

وجلس هؤلاء الأربعة مع بعضهم البعض حتى وقت متأخر بالمساء تستقر أفكار كل منهم بداخله، ثم افترقوا مع أطيب التمنيات لليوم التالي وما سينبني عليه، وكان على أويفيند أن

يعترف عندما استلقى على سريره أنه لم يذهب للنوم بهذه السعادة من قبل، وقد فسر هذا الأمر من عنده فهو فهم الأمر على أنه أبدًا لم يذهب إلى النوم وهو شاعر أنه مستسلم لمشيئة الرب وسعيد بها هكذا، وظهر وجه ماريت أمامه مجددًا وكان آخر شيء شعر به وهو لا زال مستفيقـًا أنه اختبر نفسه: ليس سعيدًا جدًا، ليس جدًا، لكنه أجاب على نفسه: بلى سعيدًا جدًا لكن مجددًا ليس جدًا، بلى جدًا، لا ليس جدًا.

وعندما استيقظ تذكر على الفور أنه هذا اليوم وصلّى وشعر بالقوة كما يشعر المرء في الصباح، منذ الصيف كان أويفيند ينام وحده في الغرفة العلوية، والآن قد نهض وارتدى ملابسه الجديدة الأنيقة بحرص شديد؛ لأنه لم يمتلك مثلها من قبل، وكان ضمنها بالأخص سترة من الجوخ كان عليه أن يجربها مرارًا وتكرارًا قبل أن يعتاد عليها، وعلّق مرآة صغيرة ليضبط ياقته وارتدي السترة للمرة الرابعة، وعندما لمح وجهه المزهوّ – بالشعر الفاتح غير العادي الذي يحيطه – معكوسًا في المرآة ومبتسمًا بدا له أنه لابد وأن ذلك هو الغرور مجددًا فأعقل الأمر: "نعم، لكن يجب على الناس أن يرتدوا ملابس جيدة ومهندمة. " ،أدار وجهه عن المرآة وكأنه ذنب أن ينظر إليها وقال: "بالتأكيد لكن لا يكونون سعداء بأنفسهم جدًا هكذا بسبب الملابس." ، "لا بالتأكيد لا، ولكن لابد أن الرب يحب أن

يهتم المرء بأن يظهر بمظهر جيد. " ، "يمكن ذلك، لكن مؤكد أنه سيحبه أكثر إن فعل ذلك لكن من دون أن يزهو به." ، "هذا صحيح لكن الأمر يحدث معي الآن لأن كل شيء أرتديه جديد جدًا. " ، "نعم، لكن يجب عليك أن تنحي هذه العادة جانبًا." وأخذ يقوم بمثل هذه الاختبارات متحدثًا بينه وبين نفسه مرة بخصوص أمر ما، مرة بخصوص أمر آخر حتى لا يفعل ذنبًا في هذا اليوم ويلطخه، لكنه كان يعلم في الوقت نفسه أنه سيواجه صراعات أخرى.

وعندما نزل من الغرفة العلوية كان والداه جالسين مرتديين ملابسهما كاملة وينتظرانه من أجل الفطور، فذهب إليهما وأمسك بأيديهما وشكرهما على الملابس ورحبا بذلك، وجلسوا جميعهم على الطاولة وصلّوا في صمت ثم أكلوا، ثم نظفت الأم الطاولة وحملت علبة الشطائر من أجل الرحلة إلي الكنيسة، وارتدى الأب سترته وربطت الأم منديلها وأخذوا كتب تراتيلهم وأوصدوا باب المنزل وانطلقوا، وبمجرد أن وصلوا إلى الطريق الرئيسي قابلوا الناس الذاهبين إلى الكنيسة، منهم من يركب ومنهم من يمشي وكان المرشحون للتثبيت متناثرين بينهم، وكان بين مجموعة والأخرى أجداد ذوو شعر أبيض شعروا بضرورة حضورهم هذه المناسبة العظيمة.

وكان هذا يومًا من أيام الخريف التي لا تشرق فيها الشمس حينما ينذر الطقس بتغيّر حالة الجو، حيث كانت تتجمع السحب ثم تتفرق ثانية، وأحيانًا تنقسم كتلة واحدة كبيرة إلى عشرين سحابة صغيرة في أرجاء السماء لتنذر بعاصفة، لكن بالأسفل، على الأرض، كان الوضع هادئًا وكانت أوراق الأشجار هامدة لا حياة فيها، بل لم تتحرك ورقة واحدة حتى، وكان الهواء حارًا قليلاً، وكان الناس يحملون معهم ستراتهم لكنهم لم يستخدموها، وكان قد تجمع عدد هائل من الناس حول الكنيسة التي كانت تقع في مكان مفتوح، ودخل الأطفال المرشحون للتثبيت إلى الكنيسة التي كانت تقع في مكان مفتوح، ودخل الأطفال المرشحون للتثبيت إلى الكنيسة على الفور حتى يتم ترتيبهم في أماكنهم قبل أن يبدأ القدّاس، ثم جاء المعلم في بذلة جوخ زرقاء ومعطف من الصوف وسروال قصير وحذاء ذي رقبة عالية وربطة عنق، وكان يومئ برأسه ويبتسم أو يربت على كتف أحد الأطفال ويقول لآخر بضعة كلمات عن إجابة الأسئلة بصوت عال وبثقة، وفي هذه الأثناء كان متجهًا إلى صندوق الصدقة حيث كان يقف أويفيند يجيب على أسئلة صديقه هانز التى سألها بخصوص رحلة أويفيند في اليوم التالي.

وجذب المعلم أويفيند من ياقة سترته وهو يقول: "صباح الخير يا أويفيند، كم تبدو جميلاً اليوم! " – وكأنه يريد أن يتحدث معه وقال: "اسمع أنا أظن بك كل خير، ولقد تحدثت مع القس وسوف نسمح لك بأن تحتفظ بمكانك، اذهب إلى رقم واحد وأجب بثقة ! "

فنظر إليه أويفيند وهو مندهش فأومأ المعلم برأسه، فأخذ الفتى بضعة خطوات ثم توقف ثم بضعة خطوات أخرى ثم توقف مجددًا: "نعم، بكل تأكيد لقد تحدث مع القس من أجلي." وسار الفتى بخفة إلى مكانه.

وهمس إليه شخص: "أنت ستكون رقم واحد رغم كل شيء.

فأجاب أويفيند بصوت منخفض: "نعم" لكنه لم يكن واثقًا إذا ما كان يجرؤ على التفكير بالأمر.

انتهى ترتيب الأماكن وجاء القس ودقّت الأجراس وأخذ الناس يتدفقون إلى داخل الكنيسة، ثم رأى أويفيند ماريت أمامه مباشرة وقد رأته هي أيضًا لكن الاثنين كانا مغمورين بقدسية المكان، حتى إنهما لم يجرؤا على تحية بعضهما البعض، ولم يلحظ أويفيند في ماريت ما هو أكثر من أنها كانت جميلة بشكل مبهر، وأن شعرها كان مكشوفًا. أويفيند الذي ظل أكثر من نصف عام يضع خططًا عظيمة حول وقوفه أمامها

نسي تمامًا أن الوقت قد حان، وأنها هي ، وأنه قد فكر في هذا الأمر على الإطلاق.

وبعد أن انتهى كل شئ جاء الأقارب والمعارف ليهنئوه، وبعدها جاء رفقاؤه ليودعوه بما أنهم سمعوا أنه سيغادر في اليوم التالي، ثم جاء الكثير من الصغار الذين كان أويفيند يتزلج معهم على جانب التل والذين كان يساعدهم في استذكارهم والذيم لم يستطيعوا أن يتمالكوا أنفسهم من الأنين قليلاً بسبب الفراق، وأخيرًا جاء المعلم وأمسك بأويفيند ووالديه من أيديهم وأشار إليهم لينطلقوا جميعًا إلى المنزل فقد أراد أن يصاحبهم إلى هناك، واجتمع أربعتهم مرة ثانية وكان ذلك المساء هو المساء الأخير، وقابلوا في الطريق إلى المنزل الكثير من الناس الذين ودّعوا أويفيند وتمنوا له حسن الحظ، ولم يخض الأربعة في أي حديث مع بعضهم البعض سوى عندما جلسوا في غرفة الجلوس.

وحاول المعلم أن يبقيهم في حالة نفسية جيدة، وكان الوقت قد حان الآن فانكمش جميعهم من عامين الفراق الطويلين، فحتى هذا الوقت لم يكونوا قد افترقوا من قبل ولو ليوم واحد، لكنهم لم يريدوا أن يعترفوا بذلك، وكلما تأخر الوقت كلما أصبح أويفيند مكتئبًا أكثر وأكثر حتى إنه اضطر إلى أن يخرج ليستعيد رباطة جأشه قليلاً.

وكانت الشمس قد غربت الآن وكان الهواء يُحدث أصواتًا غريبة، وظل أويفيند واقفًا على عتبة الباب يحدّق بالسماء، ثم سمع صوتًا ناعمًا ينادي اسمه من حافة الجرف، ولم يكن يتوهم فقد تكرر النداء مرتين، فنظر إلى أعلى وميّز هيئة أنثى تنحني بين الأشجار وتنظر إلى أسفل.

فسأل: "من ؟"

فقال صوت منخفض : "سمعت أنك راحل، فوجب علىّ أن آتي إليك لأودعك بما أنك لن تأتي لتودعني."

"يا إلهي ! هل هذا أنت يا ماريت؟ سوف آتي إليكِ."

"لا أرجوك لا تفعل، لقد انتظرت قليلاً وإذا أتيت فسوف أنتظر أكثر، ولا أحد يعرف أين أنا ولابد أن أسرع إلى المنزل. "

فقال : "جميل منك أن تأتي."

"لم أتحمل أن أتركك ترحل هكذا يا أويفيند فنحن نعرف بعضنا منذ أن كنا أطفالاً."

"نعم صحيح."

"والآن لم نتحدث مع بعضنا منذ نصف عام."

"بلى لم نتحدث."

"وافترقنا بطريقة غريبة تلك المرة. "

"نعم، أظن أنه يجب أن آتي إليكي !"

"ياه ! لا لا تأتي ، لكن قل لي ألست غاضبًا مني ؟"
"ماذا تقولين؟ كيف تظنين ذلك؟"
"إذاً مع السلامة، وأشكرك على كل الأوقات السعيدة التي قضيناها معًا !"
"ماريت ! انتظري."
"يجب أن أذهب، سوف يبحثون عني."
"ماريت! ماريت!"
"لا لا أستطيع أن أظل بعيدًا طويلاً، مع السلامة يا أويفيند "
"مع السلامة ! "
وأخذ يتحرك بعدها وكأنه في حلم وعندما كان يوجه له سؤال كان يرد وهو مغيب، وكانوا يرجعون هذا لرحلته كما هو الطبيعي، وبالفعل كان هذا الأمر هو ما يستحوذ على تفكيره في اللحظة التي ودعه فيها المعلم ووضع في يده شيئًا تبين له بعد ذلك أنه ورقة بخمسة دولارات، لكن لاحقًا عندما ذهب للنوم لم يكن يفكر في الرحلة بل في الكلمات التي أتته عند حافة الجرف، والكلمات التي أرسلت إلي أعلى ردًا عليه، وعندما كانت ماريت طفلة لم يكن مسموحًا لها بأن تأتي إلى الجرف؛ لأن جدها كان يخشى عليها من السقوط، ربما يأتي اليوم الذي تأتي فيه على كل حال.

الفصل الثامن

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

والديّ العزيزين :

إن علينا أن ندرس الآن أكثر بكثير من ذي قبل، لكن بما أنني لست أقل من الآخرين في العلم بكثير فإن الأمر ليس صعبًا جداً، وسوف أغير أشياء كثيرة في مزرعة أبي عندما أعود للمنزل؛ لأنه هناك أخطاء كثيرة، وأنه لأمر مدهش أنه نجح كما فعل، لكني سوف أفعل كل شيء بالطريقة الصحيحة، فقد تعلمت الكثير هنا، وأني أريد أن أذهب إلى مكان ما حيث أستطيع أن أطبق ما أعرفه الآن؛ لذا يجب أن أبحث عن مكان مرموق عندما أتخرج من هنا.

obeikandl.com

ولا أحد هنا يعتبر جون هاتلن ماهرًا كما يعتبرونه عندنا، لكن كونه يمتلك مزرعة فذلك الأمر لا يعني أحدًا غيره.

ويحصل الكثير ممن يتخرجون من هنا علي أجور عالية، وذلك بسبب أن مدرستنا هي أفضل مدرسة زراعية بالبلد، ويقول البعض أن المدرسة التي تقع في المقاطعة المجاورة أفضل، لكن هذا ليس صحيحاً بالمرة، ويوجد هنا جزأين: الأول يسمى بـ"النظري" والآخر بـ"العملي"، ويجب على المرء أن يعرف كليهما؛ لأن واحد منهم فقط لا يساوي شيئًا دون الآخر لكن يظل الجزء الثاني هو الأفضل، ويُعنى الجزء الأول بفهم الموضوع ومبادئ العمل، أما الثاني فهو أن تكون قادرًا على تطبيق ما تعلمته في الجزء النظري، مثلاً بخصوص المستنقعات يعلم الكثير من الناس ما يجب فعله مع المستنقعات ومع ذلك يفعلونه بشكل خطأ؛ لأنه ليست لديهم القدرة على تطبيق ما يعرفونه، وعلى الجانب الآخر فهناك الكثير ممن

لديهم مهارة التطبيق لكنهم لا يعرفون ما يجب عليهم فعله وهكذا يفسدون الأمر كله، فهناك أنواع كثيرة من المستنقعات، ونحن نتعلم الجزأين: النظري والعملي في المدرسة الزراعية، كما أن المشرف علينا بارع جدًا حتى إنه ليس له مثيل، وقد أدار مناقشتين في الاجتماع الزراعي الأخير للبلد بأكملها، في حين أدار كل من المشرفين الآخرين مناقشة واحدة فقط، أما ما يقوله فيؤخذ دائمًا عين الاعتبار ويتم تدعيم ما يقول دائمًا، أما في الأجتماع قبل الأخير الذي لم يكن المشرف حاضرًا به لم يكن هناك سوى أحاديث بلا معنى، وقد اختار المشرف المُلازم الذي يعلمنا مسح الأراضي فقط بسبب قدراته فالمدارس الأخرى ليس لديها مُلازم، وكان المُلازم ماهرًا جدًا حيث إنه كان أفضل طالب بالأكاديمية الحربية.

يسأل المعلم إن كنت أذهب إلى الكنيسة، بالطبع أذهب، والقس لديه مساعد الآن ويملأ قُداسه جماعة المصلين بالكنيسة بالرهبة، وإن الاستماع إليه لممتع، وهو ينتمي إلى الدين الجديد الذي عندهم في بلدة كريستيانا بأمريكا، ويعتقد الناس أنه متزمت جدًا، لكن كونه هكذا أفضل لهم.

ونحن ندرس الآن التاريخ بكثرة، الأمر الذي لم نفعله من قبل، وإنه لمثير للفضول أن نعلم كل ما حدث في العالم، وبالأخص في بلدنا؛ لأننا كنا نكسب دائمًا فيما عدا عندما خسرنا، لكننا أبدًا

ما حصلنا على الأقل، ونحن الآن أحرار ولا يوجد شعب لديه مثل حريتنا سوي في أمريكا، لكنهم ليسوا سعداء هناك، ويجب علينا أن نحب حريتنا فوق كل شيء.

سوف أنهي الخطاب الآن لأنني قد كتبت خطابًا طويلاً جدًا، وأفترض أن المعلم سيقرؤه، وعندما يجيب على خطابي لأجلكما اجعلاه يقول لي أخبار ما يحدث فهو لا يفعل ذلك أبدًا، لكن الآن اقبلا من ابنكما الودود أرق تحية.

إمضاء

أ.ثوريسون

---

obeikandl.com

والديّ العزيزين:

الآن يجب أن أقول لكم إننا قد مررنا باختبارات، وإنني حصلت على تقدير "ممتاز" في الكثير من المواد و "جيد جدًا" في الكتابة ومسح الأراضي و"جيد" فقط في موضوعات الإنشاء باللغة النرويجية؛ وذلك يرجع إلى عدم قراءتي ما يكفي كما قال لي المشرف، ولقد أهداني المشرف بعضًا من كتب "أوليه فيج" التي ليس لها مثيل، فقد قرأتها وفهمت كل ما فيها، إن المشرف طيب جدًا معي، ويقول لي أشياء كثيرة. وإن كل شئ هنا مختلف جداً مقارنة بما لديهم بالخارج، فنحن تقريباً لا نفهم شيئًا، لكن نتعلم كل شيء من الأسكوتلنديين والسويسريين بالرغم من أننا نتعلم علم البستنة[٢] من الألمان، وكثير من الناس يزورون هذه البلدان، والناس في السويد أيضًا أمهر وأبرع منّا بكثير وقد ذهب المشرف نفسه إلي هناك. وأنا الآن وبعد أن أمضيت هنا عامًا تقريبًا وكنت أظن أني قد تعلمت الكثير، عندما سمعت ما يعرفه هؤلاء الذين اجتازوا الاختبار وفكرت في أنهم لن يعرفوا شيئًا عندما يتواصلوا مع الأجانب أصبحت مكتئبًا بشدة. ثم إن التربة هنا في النرويج فقيرة جدًا بالمقارنة بما هي عليه في البلدان الأخرى، وهي لا ترد لنا ما نفعله معها، والأكثر من ذلك أن الناس لا يتعلمون

[٢] أحد فروع علم النبات ويعنى بدراسته الأشجار المثمرة ونباتات الزينة والخضروات.

من خبرات الآخرين، وحتى إذا فعلوا وكانت التربة أفضل بكثير فليس لديهم المال ليزرعوها، وإنه لأمر مدهش أن الأمور قد سارت بشكل جيد في ظل هذا الوضع.

أنا الآن في الصف الأخير وسأمضي فيه عامًا قبل أن أتخرج، لكن معظم رفاقي قد رحلوا وأنا أشتاق إلى المنزل، وأشعر بالوحدة رغم أنني لست وحيدًا مطلقـًا، لكن المرء يشعر شعورًا غريبًا عندما تتطول غيبته عن بيته ولقد فكرت ذات مرة في أنه ينبغي أن أصبح عالمًا لكنني لا أتقدم التقدم الذي تمنيته.

ماذا سأفعل بعد أن أرحل من هنا ؟ بالطبع سوف آتي للمنزل أولاً، بعد ذلك أظن أني سأبحث عن شء أعمل به، لكنه لن يكون مكانـًا بعيدًا.

الوداع الآن والديّ العزيزين !

أرسلا تحياتي إلى كل من يسأل عني، وقولا لهم إن كل شيء هنا ممتع لكنني أتّوق الآن لأن أعود للمنزل مجدداً.

ابنكما الودود

أويفيند ثوريسن بلادسِن

معلمي العزيز،
أطلب منك أن ترسل هذا الخطاب المغلق ولا تخبر به أحدًا، وإذا كنت لن تفعل ذلك فلتحرقه.

أويفيند ثوريسن بلادسِن

إلى أرفع الفتيات مقامًا، ماريت ندساتِر نورديستوين في مزارع الهايديجاردز العليا:
سوف تتفاجئين بالطبع لتلقيك خطاباً مني، لكن لا تستغربي الأمر لأنني فقط أريد أن أسأل عنكِ وأطمئن عليكِ، ويجب أن ترسلي إليّ بضعة كلمات قريبًا جدًا لتخبريني بكل التفاصيل، وفيما يخصني يجب أن أقول إني سأتخرج من هنا خلال عام.

مع خالص احترامي
أويفيند ثوريسن بلادسِن

إلى أويفيند بلادسن، بالمدرسة الزراعية :
سلّمني المعلم خطابك، وسوف أجيب عليك بما أنك طلبت ذلك، لكنني أخشى أن أفعل ذلك؛ فأنت أصبحت متعلمًا جدًا،

وأنا لدي كاتب رسائل لكن ذلك لا يساعدني، لذا فسأحاول قدر إمكاني، وأنت يجب أن تقدر أني حاولت مساعدتك للرد علي ما تسأل، لكن لا تجعل أحدًا يرى هذا الخطاب؛ لأنك إن فعلت ذلك لن تكون الشخص الذي أعرفه، ويجب ألا تحتفظ به حيث يمكن أن يراه أحد حينها، بل يجب أن تحرقه ولابد أن تعدني بذلك. وأردت أن أكتب إليك عن أشياء كثيرة لكني لا أجرؤ. قد حصدنا حصادًا جيدًا فالبطاطس تباع بسعر مرتفع ونحن لدينا الكثير منها هنا في مزارعها، ولكن دبت الكثير من الأضرار بين الماشية في هذا الصيف، فلقد قتل اثنين من ماشية "أورلي نِدْرجاردز" وأصاب واحدة يمتلكها خادمنا إصابة خطيرة، حتى إنه وجب ذبحها من أجل الحصول على لحمها. أنا الآن أغزل قطعة كبيرة من القماش، شيئًا أشبه بالمربعات الأسكوتلندي وهو أمر صعب. وسوف أقول لك الآن إنى لازلت موجودة بالمنزل، وأن هناك من يريدون ما هو عكس ذلك، وليس لدي ما أكتبه أكثر من ذلك لهذه المرة، لذا لابد أن أودعك الآن.

ماريت ندسارتر

ملحوظة: تأكد من أن تحرق هذا الخطاب.

إلى المزارع أويفيند ثوريسن بلادسِن

كما قلت لك من قبل يا أويفيند إن ذلك الذي يسير وفقًا لأمر الرب قد ورث خيرًا كثيرًا، لكن يجب أن تستمع إلى نصيحتى الآن وهي ألا تأخذ الدنيا باللهفة والمشقة، لكن لتثق بالرب ولا تدع قلبك يستنفذك؛ لأنك إن فعلت سوف يكون لديك إله آخر إلى جانب الرب، ثم يجب أن أخبرك بأن أباك وأمك بحال جيدة، لكنى أشكو إحدى فخذيَ فالآن يشن الجسد الحرب من جديد على كل ما عاناه من قبل، فما نزرعه في الصغر نحصده في الكبر، وهذا صحيح فيما يخص العقل والجسد اللذين يخفقان بالألم الآن ويتألمان ويغروننا أن نقوم بالكثير من الرثاء والعويل، لكن لا يجب الشكوى من كبر السن، فالحكمة تتدفق من الجراح ، والألم يوصي بالصبر حتى يصبح الإنسان قويًا بما يكفي من أجل الرحلة الأخيرة. ولقد أمسكت بقلمي اليوم لعدة أسباب؛ أولها وأهمها هو من أجل ماريت التى أصبحت آنسة تخشى الله لكنها خفيفة كحيوان الرنّة، ومزاجها متقلب جداً ولسوف يسعدها أن تمتثل وتلتزم بشيء واحد، لكن تمنعها فطرتها من فعل ذلك، لكنى رأيت مرارًا أن الرب متسامح ويعاني الكثير من أجل القلوب الضعيفة هكذا ولا يدعهم حتى يتم إغواؤهم بما يفوق قوتهم

لئلا يتحطموا ويصبحوا أشلاء، فماريت رقيقة جداً، ولقد أعطيتها خطابك كما طلبت وخبأته من الجميع سوى قلبها، وإذا كان الرب سيساعدكما في هذا الأمر فأنا لا أعترض بالمرة؛ فماريت جذابة جدًا بالنسبة لمعظم الشباب، وكما هو واضح أيضا أن لديها الوفير من متاع الدنيا، كما لديها متاع الآخرة أيضاً بالرغم من مزاجها المتقلب، فخوف الرب في ذهنها كالماء في بركة ضحلة يوجد عندما تمطر السماء ويختفي عندما تشرق الشمس.

لا تستطيع عيني أن تتحمل أكثر من ذلك الآن، فهي ترى جيدًا من بعيد لكن تؤلمني وتمتلئ بالدموع عندما أنظر إلى أشياء صغيرة، وخلاصة القول: سأنصحك يا أويفيند بأن تفكر في الرب دائمًا في كل رغباتك وأفعالك، فمكتوب أنه "أن تملأ يدًا واحدة بالهدوء خير أن تملأ اليدين بعناء وشقاء الروح" سفر الجامعة iv,6

معلمك العجوز

بآرد أندرسن أوبدال

أشكرك على خطابك الذى قرأته ثم أحرقته كما طلبتِ، ولقد كتبتِ عن أشياء كثيرة، لكنها لا تخص أبدًا ما كنت أريد منك

أن تكتبي لي عنه، وأنا لا أجرؤ على أن أكتب أي شيء محدد دون أن أعرف كيف حالك "من كل الجوانب"، فخطاب المعلم لا يقول شيء يستطيع المرء أن يعتمد عليه، لكنه يمدحك ويقول إنك متقلبة المزاج، وهذا الأمر كنتِ عليه من قبل بالطبع، وأنا لا أعرف الآن فيمَ من المفترض أن أفكر، لذا يجب أن تكتبي لي؛ فأنا لن أكون بخير حتى تفعلي. أتذكر الآن مجيئك إلى الجرف في المساء الأخير وما قلتِه حينها. لن أكتب المزيد هذه المرة لذا وداعاً.

مع خالص احترامي

أويفيند بلادسِن

إلى أويفيند ثوريسن بلادسِن:

لقد أعطاني المعلم خطاباً أخر منك، ولقد قرأته لتوّي لكني لا أفهمه مطلقاً، وأعتقد أن ذلك بسبب أنى لست متعلمة، أنت تريد أن تعرف كيف حالي من كل الجوانب، أنا آكل جيداً خاصة عندما يكون هناك عصيدة باللبن، وأنام ليلاً وبعض الأحيان في النهار أيضًا، ولقد رقصت كثيرًا هذا الشتاء؛ فلقد أقيمت الكثير من الحفلات هنا، الأمرالذي كان ممتعًا جدًا،

أذهب إلى الكنيسة عندما لا يكون الجليد عميقًا جدًا، لكن هذا الشتاء كان الجليد هنا كثير جداً. والآن، أنا أفترض، أنك أصبحت تعرف كل شيء وإذا لم تعرف، لا أستطيع أن أفكر لك في شيء أفضل من أن تكتب لي مرة أخرى.

ماريت ندسارتر

إلى أشرف الفتيات مقاماً، ماريت ندستارتر هايديجاردز:

لقد تسلمت خطابك، لكن يبدو أنك تميلين إلى أن تتركيني لا أعلم شيئًا أكثر مما علمته، وربما قد قصدتِ ما قلته بالفعل كإجابة على سؤالي، لا أعرف. وأنا لن أجرؤ على أن أكتب ما كنت أتمنى كتابته؛ لأننى أصبحت لا أعرفك، لكن ربما أنكِ لا تعرفينني أيضاً.

ويجب أن تعرفي أنني لست الإسفنجة الطرية التى عصرتها ونفضتِ الماء عنها عندما كنت أشاهدك وأنت ترقصين، فلقد عُصرت كثيرًا وجففت تمامًا من بعدها. وأنا لست مثل هؤلاء الكلاب ذوي الشعر الطويل الذين يسيل لعابهم من أقل شيء ويهربون من الناس ويخافون منهم، كما في الماضي، بل إنني أستطيع أن أتصدى للنيران الآن.

ولقد مزحتِ في الخطاب بشكل كبير، لكنك مزحتِ حيث كان يجب ألا تمزحى مطلقاً، لأنكِ فهمتني جيداً، وكنت تستطيعين

أن تري أني لم أكن أسأل هباءً، لكننى أصبحت مؤخرًا لا أستطيع التفكير في شيء آخر غير المسألة التى سألتك عنها، ولقد كنت أنتظر في منتهى القلق، وها أنا لم أتلق سوى الحماقة والضحك.

وداعاً يا ماريت هايديجاردز، ينبغي ألا أنظر إليكِ كثيرًا كما فعلت في الحفلة الراقصة، ولتأكلي جيدًا وتنامي جيدًا وتنتهي مما تغزلين، وفوق كل شيء أتمنى لكِ أن تتمكني من جرف الثلج المتراكم عند باب الكنيسة.

مع خالص احترامى

أويفيند ثوريسن بلادسِن

إلى المزارع، أويفيند ثوريسن بلادسِن، بالمدرسة الزراعية:

بالرغم من سني المتقدم وضعف عيني وألم فخذي الأيمن فإنه يجب أن أخضع لإلحاح الصغار الذين يحتاجوننا نحن معشر الكبار عندما يوقعوا أنفسهم في أي فخ، فإنهم يرجوننا وينتحبوا حتى نخرجهم من مأزقهم، وحينها يهربون منا ولا يأخذون بنصائحنا بعد نجاتهم.

والآن إنها ماريت، وإنها تتملقني بكلمات معسولة كثيرة حتى أكتب لك في نفس الوقت الذي تكتب هي فيه، فهي تجد الراحة في كتابتها معي وليس وحدها، ولقد قرأتُ خطابك، وقد كانت تظن أنها أصبح لديها جون هاتلين أو أي أخرق آخر وليس شخصًا ممن علمه المعلم بآرد، لكنها الآن في حيرة، ورغم ذلك فأنت كنت حادًا وفظًا جدًا معها، فهناك نوع من النساء يملن إلى المزاح بدلاً من النحيب، والأمر سواء بالنسبة إليهن، لكننى مسرور لأنك تأخذ الأمور الهامة بجدية وإلا كنت ضحكت على الهراء.

وفيما يتعلق بمشاعركما أنتما الاثنين فإنه من الواضح الآن أنكما تريدان بعضكما، أما عن ماريت فلقد كنت دائماً في شك من موقفها؛ لأنها مثل الرياح لا تستقر في مكان، لكني علمت الآن أنه بالرغم من ذلك فإنها قاومت ما تقدم به "جون هاتلين" مما جعل غضب وسخط جدها يُثار إلى حد بعيد، ولقد كانت سعيدة عندما جاءها عرضك وإذا كانت قد مزحت فإن ذلك كان بسبب الفرحة وليس لتضايقك، ولقد تحملت الكثير وفعلت ذلك من أجل أن تنتظر ذلك الذي رق قلبها له، وها أنت تأتي الآن لتضايقها وتعاقبها كما يُعاقب طفل صغير شقي.

هذا ما أردت أن أقوله لك، ولابد أن أضيف هذه النصيحة: أنك يجب أن تتفاهم معها؛ فإنه يمكنك أن تجد شخصًا آخر لتكن على خلاف معه، فأنا مثل الرجل الشيخ الذى عاصر ثلاثة أجيال ولقد رأيت الحماقة وما تؤدي إليه.

إن أمك وأباك يرسلان حبهما إليك، وهما يتوّقان إليك بالمنزل، لكني لم أكتب ذلك من قبل حتى لا تتعب من الاشتياق إليهما، أنت لاتعرف والدك؛ إنه كالشعرة التي لا تأن حتى تهوي على الأرض، لكن إذا وقعت لك أية مصيبة فإنك حينها سترى طبيعته الرائعة ولسوف تتعجب من ثراء طبيعته البشرية، ولقد كان على عاتقه أحمال كثيرة تحملها وهو صامت دائمًا فيما يتعلق بالأمور الدنيوية لكن أمك قد أراحته فى كثير من الشقاء، والآن يخترق نور الصباح الظلمة.

والآن عيناي تأبيان أن أفتحهما ويدي تأبى أن تكتب المزيد؛ لذا أستودعك عنده ذلك الذي تسهر عيناه دائمًا ولا تُغمض ويداه لا تنهكا أبدًا.

بآرد آندرسن أويدال

إلى أويفيند بلادسِن:

يبدو أنك غاضب مني وهذا يحزنني كثيراً، لأنني لم أقصد أبدًا أن أغضبك، وما كان قصدي غير الخير، وأنا أعلم أنني دائماً كنت لا أعاملك بطريقة جيدة؛ ولهذا أكتب إليك الآن، لكن يجب عليك ألا تظهر هذا الخطاب لأي أحد، لقد كان لدي كل شيء من قبل لكني لم أكن طيبة، ولايهتم بي أحد الآن وأنا تعيسة جدًا، ولقد ألف جون هاتلين أغنية تهجوني ويغنيها كل الأولاد، ولابد وأن أستمع إلى كلمات قاسية كثيرة، وأنا الآن جالسة أكتب الخطاب وحدي ويجب عليك ألا تريه لأحد.

أنت تعلمت الكثير وتستطيع أن تنصحني لكنك الآن بعيد جدًا، ولقد ذهبت لزيارة والديك مرارًا وتحدثت مع أمك وأصبحنا صديقتان جدًا، لكني لم أود أن أكتب لك عن هذا الشيء؛ لأنك كنت تكتب بطريقة غريبة، وإن المعلم يمزح معي فقط ولا يعرف شيئًا عن أغنية الهجاء، فلا أحد بالأبرشية يجرؤ على أن يغني هذه الأغنية أمامه، أنا الآن وحيدة وليس لدي من أتحدث معه، أتذكر عندما كنا صغارًا أنت كنت طيبًا معي بشدة، وكنت دائماً أجلس على مزلجتك، أتمنى أن أعود طفلة من جديد.

لا أستطيع أن أطلب منك أن ترد على خطابي؛ لأنى لا أجرؤ، لكن إذا أجبتني مرة أخرى فقط لن أنسى هذا منك أبدًا يا أويفيند.

ماريت ندرسارتر
أرجوك أحرق هذا الخطاب، فأنا لا أعرف حتى إذا كنت سأجرؤ على إرساله.

عزيزتي ماريت:
أشكرك على خطابك، لقد كتبتيه بشكل جيد وسوف أقول لك الآن يا ماريت أني أحبك بشدة، حتى إنني بالكاد أستطيع أن أنتظر هنا أكثر من ذلك، وإذا كنتِ تحبينني بحق كما أحبك أنا، فسوف تسقط كل أغنيات جون وكل الكلمات القاسية التي يقولها الآخرون كأوراق الشجر في الخريف، ومنذ أن وصلني خطابك الأخير وأنا أشعر وكأنني إنسان جديد؛ فلقد أصبحت قوتي ضعف ما كنت عليه من قبل و أصبحت لا أخشى أحدًا في الدنيا كلها، وبعد أن أرسلت لكِ الخطاب الأخير ندمت ندمًا شديدًا؛ حتى أني كدت أمرض، والآن سوف تسمعين ماذا كانت نتيجة ذلك:
فلقد أخذنى المشرف جانباً وسألنى ماذا أصابنى ولقد ظن أن ذلك بسبب أنى أذاكر باجتهاد شديد، ثم قال لي إنه عندما تنتهى هذه السنة، أستطيع أن أبقى هنا لعام آخر دون أية مصاريف، وأنى أستطيع أن أساعد في أشياء مختلفة وإنه سوف

يعلمنى أكثر، وحينها كنت أفكر أن العمل هو الشئ الوحيد الذى يجب أن أعتمد عليه وشكرته بشدة، وأنا لست نادماً على ذلك الآن – رغم أنى أتوّق إليك بشدة – لأنى كلما قضيت وقت أطول هنا كلما كان لى الحق أكثر في أن أطلب يدك، كم أنا سعيد الآن وأعمل بقوة ثلاثة أشخاص، وأبداً لن أكون متخلفاً في أى عمل ! لكن يجب أن تحصلي على كتاب أقرؤه الآن لأن به الكثير من الحب، وأنا أقرؤه في المساء عندما يكون الآخرون نائمين، ثم أقرأ خطابك من جديد، هل فكرتِ في لقائنا؟ أنا أفكر فيه كثيراً، وأنت أيضاً يجب أن تجربي لتعرفي كم سيكون ساراً وممتعاً، وأنا سعيد بحق حتى إنى قد اجتهدت وذاكرت كثيراً جداً رغم أن الأمر كان شاقاً عليّ من قبل، وأنا الآن أستطيع أن أقول لكِ ما أريد وأبتسم من قلبى.

سوف أعطيكِ كتبًا كثيرة لتقرئينها حتى تعرفى كم تحمّل المحبين من المحن، وكيف كانوا يفضلون الموت على أن يتركوا بعضهم، وهذا ما سوف نفعله ونحن في منتهى السعادة، صحيح سوف ننتظر عامين حتى نستطيع أن نتقابل، وننتظر فترة أطول حتى يمتلك كل منا الآخر، لكن مع كل يوم يمضى سيكون هناك يوم أقل ننتظره، ولابد أن نفكر بهذه الطريقة ونحن نعمل.

سيكون خطابي القادم عن أشياء كثيرة، فلقد نفذ مني الورق هذا المساء، والآخرون نائمون، سوف أذهب لأنام الآن وأفكر فيكِ وسأفعل ذلك حتى أغط في النوم.

صديقك،

أويفيند بلادسِن

obeikandl.com

الفصل التاسع

أخذ ثور بلاديسن يُجدف في أحد أيام السبت في منتصف الصيف عبر البحيرة؛ كى يقابل ابنه الذى كان متوقعًا وصوله عصر هذا اليوم من المدرسة الزراعية؛ حيث أنهى دراسته، ولقد أستأجرت الأم بعض النساء منذ عدة أيام وتم تنظيف المنزل ومسح كل شئ، وتم ترتيب حجرة نوم أويفيند قبل ذلك بفترة ووُضعت مدفأة وأصبح هذا مكان إقامة أويفيد، وأحضرت الأم اليوم نباتات الزينة النضرة، وفرشت الملاءة النظيفة، ورتبت السرير، وبينما كانت تفعل ذلك كانت تنظر طيلة الوقت إلى الخارج، لربما يأتى أي مركب بالصدفة عبر البحيرة، ووُضعت طاولة مليئة بالخيرات في المنزل، ودائماً ما كان هناك شيء ناقص أو ذباب تطارده الأم، وكانت غرفة النوم مغبّرة على الدوام، ولم يأتِ القارب حتى الآن، ومالت الأم على النافذة ونظرت إلى الماء، ثم سمعت خطوات تقترب على الطريق، فأدارت رأسها، وكان ذلك المعلم آتياً ببطء من التل يستند على عكاز لأن فخذه كان يؤلمه، وبدت عيناه الذكيتان هادئتين، وتوقف ليستريح وأومأ لها برأسه قائلاً: "ألم يأتِ بعد؟"

obeikandl.com

-"لا، أنا أتوقع مجيئهم أى لحظة"

-"الجو جميل لصناعة التبن اليوم."

-"لكنه دافئ ليتمشّى فيه كبار السن."

فنظر إليها المعلم مبتسماً:

"هل خرج أي من الشباب الصغار اليوم؟"

"نعم لكنهم عادوا ثانيةً"

-" نعم، نعم بالتأكيد، غالباً ما سيُعقد اجتماع في مكان ما هذا المساء"

-"أظن سيكون هناك اجتماع فعلاً. و "ثور" يقول إنهم لن يجتمعوا في منزله حتى يحصلوا على موافقة الرجل الكبير"

-"صحيح، صحيح"

وصاحت الأم في التو:

"هناك، أظن أنهم قادمون."

فنظر المعلم بعيداً:

"نعم، بالطبع إنهم هم."

obeikandl.com

فغادرت الأم النافذة ودخل المعلم إلى المنزل وبعد أن ارتاح قليلاً وتناول مشروباً، ذهبا إلى الشاطئ بينما انطلق القارب بسرعة إليهما، فلقد كان كلٌّ من الأب والابن يجدفان، وألقى المُجدفان بستراتيهما وابيض الماء أسفل منهما، وسرعان ما اقترب القارب ممن كانا ينتظرانه، وأدار أويفيند رأسه ونظر فرأى الاثنين عند مكان إرساء القارب، فقال وهو يضع المجدافين جانباً:

"أهلاً يا أمى ! أهلاً يا معلمي!"

فقال الأم ووجهها يشرق:" كم أصبح صوتك رجولياً، آه يا إلهى! آه يا إلهى! لازال جميلاً مثلما كان دوماً"

وجذب المعلم القارب ووضع الأب مجدافيه، وقفز أويفيند ماراً من جانب والده إلى خارج القارب، وصافح أمه أولاً ثم صافح معلمه وأخذ يضحك ويضحك، ثم -عكس طبيعة وعادة الفلاحين- بدأ سيل من الكلمات يتدفق منه فوراً عن اختباراته والرحلة وشهادة المشرف والعروض الجيدة، وسأل عن المحصول وعن معارفه جميعاً ماعداً شخص واحد، وقد توقف الأب كي يحمل الأغراض من القارب، لكنه أراد أن يسمع هو الآخر ففكر في أن الأغراض يمكن أن تبقى في الوقت الراهن، وانضم للآخرين ثم ساروا جميعًا إلى المنزل وأويفيند يتحدث ويضحك والأم تضحك أيضاً، فهى لم تكن تعرف ماذا

تقول، وسار المعلم ببطء إلى جانب أويفيند يشاهد تلميذه القديم عن كثب، وسار الأب على مسافةٍ منهم ووصلوا إلى المنزل هكذا، وكان أويفيند مسروراً بكل شئ رآه؛ أولاً لأن المنزل تم دهانه، ثم لأن الطاحونة قد تم تكبيرها، ثم لأن النوافذ الداكنة الكئيبة قد أزيلت من غرفة الجلوس وغرفة النوم، وحل الزجاج الأبيض محل الزجاج الأخضر، وتم تكبير إطارات النوافذ، ولقد بدا له كل شئ صغيراً لدرجة مدهشة عندما دخل وليس مثلما كان يتذكر مطلقاً، لكنه كان مُبهجاً جداً، وأصدرت الساعة صوتًا مثل دجاجة سمينة، وبدت المقاعد المنقوشة وكأنها على وشك أن تنطق، وكان أويفيند يعلم كل طبق من الأطباق المتراصة أمامه على المائدة، وكأن الموقد المغسول حديثاً كان يبتسم ترحيباً به، والخضرة التى زينت الحائط نثرت رائحتها، والعرعر الذى يكسو الأرضية دلّ على الاحتفال.

وجلسوا جميعاً ليأكلوا، لكنهم لم يأكلوا الكثير فلقد أخذ أويفيند يثرثر دون توقف وكان الآخرون ينظرون إليه الآن بهدوء أكثر ويلاحظون في أى جانب قد تغير، وفي أى جانب ظل كما هو، وما هو جديدٌ عليه كليةً، حتى في البذلة الجوخ الزرقاء التى كان يرتديها. وبعد أن قصّ قصته طويلة عن أحد

رفاقه وانتهى منها وتوقف قليلاً قال له الأب :"تقريباً لم أفهم أي كلمة مما قلت يابني؛ فأنت تتحدث بسرعة بالغة."

ضحكوا جميعاً من قلوبهم بما فيهم أويفيند نفسه؛ فلقد كان يعلم جيداً أن ذلك صحيح، لكن لم يكن ممكناً بالنسبة إليه أن يتحدث أبطأ من ذلك، فلقد أثّر كل شئ جديد رأه وتعلمه خلال غيابه الطويل عن المنزل في خياله وفهمه للأمور ودفعه بعيداً عن تصرفاته المعتادة، وتلك القدرات التى ظلت خامدة طويلاً تم إيقاظها، وأصبح عقله في حالة نشاط دائم، بل والأكثر أن أصبحت لديه العادة أن يأخذ كلمتين أو ثلاثة اعتباطاً ويكررهم مراراً وتكراراً بسبب السرعة، وبدا وكأنه يتعثر في نفسه وكان ذلك يبدو غريباً في بعض الأحيان لكنه كان يضحك حينها ويُخفي ذلك الأمر، وجلس الأب والمعلم يشاهدانه ليلاحظا ما إذا كانت مراعاته لمشاعر الآخرين قد غابت عنه، لكن لم يبدو لهم ذلك، تذكر أويفيند كل شئ حتى إنه هو من ذكّر الآخرين أنه يجب تفريغ القارب، وأخرج ملابسه من حقائبه على الفور وعلقها وعرض عليهم كتبه وساعته وكل شئ جديد، وقالت أمه إن كل شئ كان مُعنتىً به، وأصبح أويفيند مسروراً للغاية بغرفته الجديدة الصغيرة، وقال إنه سيظل بالمنزل في الوقت الحالي ليساعد في صناعة التبن ويذاكر، وإنه لا يعرف إلى أين سيذهب لاحقاً لكن الأمر

لم يكن يشكل اختافًا معه بالمرة، ولقد اكتسب نشاطاً وقوة تفكيرتُمتع من يراه، كما اكتسب أيضاً حيوية في التعبير عن مشاعره تُنعش أي شخص ظل يجاهد طوال العام ليكبت مشاعر نفسه، وأصبح المعلم أصغر من ذى قبل بعشر سنوات.

وقال المعلم ووجهه يشرق بالرضا بينما نهض ليذهب: "لقد قمنا بواجبنا تجاهه."

وعندما عادت الأم من توصيل المعلم - كالعادة - إلى الباب نادت على أويفيند.

وهمست له: "سوف ينتظرك شخص ما الساعة التاسعة."

-"أين؟"

-"على الجرف"

فخطف أويفيند نظره إلى الساعة وقد كانت قاربت التاسعة فلم يستطع أن ينتظر في المنزل وخرج، وتسلق جانب الجرف بجهد جهيد، وتوقف عند القمة ونظر حوله؛ كان المنزل يقع أسفل منه مباشرة وكبرت الشجيرات الموجودة فوق السطح، وحتى كل الشجيرات الصغيرة من حوله قد كبرت وكان يعرف كل واحدة منها، وهامت عيناه إلى الطريق الذى كان يمتد بطول الجرف، والذي كانت تحفّه الغابة من الجانب الأخر، ولقد كان الطريق هناك كئيبًا ومُظلمًا، لكن الغابة كانت

مفعمة بحيوية أوراق الأشجار المتنوعة والأشجار الطويلة اليانعة، وكان في الخليج قارب منصوب شراعه ومُحمل بألواح خشبية ينتظر نسمة هواء. وحدّق أويفيند في المياه التى حملته بعيداً عن منزله ثم حملته إليه مجدداً، وامتد البحر أمام عينيه هادئًا وأملس، وكانت بعض الطيور تحلق فوقه لكن دون أن تحدث ضجة؛ لأن الوقت كان متأخراً. وجاء أبوه من عند الطاحونة سائرًا وتوقف عند الباب ونظر متفحصًا كل ما حوله كما فعل ابنه، ثم ذهب إلى المياه كى يُدخل القارب لأن الليل قد حلّ وظهرت أمه فى جانب المنزل فلقد كانت بالمطبخ، ورفعت عيناها تجاه الجرف، بينما عبرت المزرعة كي تطعم الدجاج، ثم نظرت مجدداً وبدأت في الهمهمة، وجلس أويفيند ينتظر وكانت الأدغال كثيفة جدًا حتى إنه لم يستطيع أن يرى ما بداخل الغابة، لكنه ظل يستمع إلى أقل صوت يحدث. ولفترة طويلة لم يسمع سوى صوت الطيور المحلقة التي خدعته بأصواتها، وبعد ذلك أخذ سنجاب يقفز من شجرة إلى شجرة، لكنه في آخر الأمر سمع خشخشة من بعيد، ثم توقفت الخشخشة للحظة ثم بدأت من جديد؛ فنهض وقلبه يخفق والدم يتدفق بسرعة إلى رأسه، ثم بدا شيء من بين الشجيرات بجانبه، ظهر كلب فظ كبير قد توقف على ثلاثة أرجل عندما رآه ولم يتحرك، إنه كلب "الهايديجاردز" وسُمعت

خشخشة أخرى خلف الكلب الذى أدار رأسه وهز ذيله، ثم ظهرت ماريت الآن.

وعلق فستانها بشجيرة واستدارت لتحرر نفسها ثم وقفت ورآها أويفيند واقفة هكذا. كان رأسها مكشوفًا وشعرها ملفوفًا كما تعتاد الفتيات في هيئتهن اليومية، وكانت ترتدى فستانًا ذا مربعات دون أكمام، ولم ترتدي في رقبتها سوى ياقة كتانية، ولقد تسللت لتوها من العمل بالحقل ولم تجرؤ على الذهاب لتغير فستانها، ونظرت إليه الآن بطرف عينها وابتسمت ولمعت أسنانها البيضاء، ولمعت عيناها أسفل جفنيها نصف المغلقتين، ووقفت للحظة تلعب بأصابعها ثم تقدمت ووجهها يحمرّ أكثر وأكثر مع كل خطوة تخطوها، فتقدم أويفيند ليقابلها وأخذ يديها الاثنتين بين يديه وتثبتت عيناه على الأرض وظلا واقفين هكذا.

"شكراً لكِ على خطاباتك" كان أول شيء قاله لها، وعندما نظرت إلى أعلى قليلاً وضحكت شعر أنها أكثر قزمة شقية يمكن أن يقابلها في غابة، لكنه كان أسيرًا لها وهي أيضًا كان جليًا أنها أسيرته.

وقالت: "كم أصبحت طويلاً." وهي تقصد شيئًا أخر.

ونظرت إليه أكثر وأكثر وضحكت أكثر وأكثر، لكنهما لم يقولا شيئًا وجلس الكلب يتفحص المزرعة. ولقد لاحظ "ثور" رأس الكلب وهو داخل المياه، لكنه لم يستطيع أن يعرف ماهذا الشيء الموجود بالأعلى على الجرف.

وكان الاثنان قد تركا أيدى بعضهما البعض وبدءا يتحدثان قليلاً، ثم انفجر أويفيند في موجة من الكلام السريع حتى إن ماريت لم تستطع إلا أن تضحك عليه.

"نعم، هل ترين؟ هذه هي طريقتي عندما أكون سعيدًا، سعيدًا بحق، هل ترين؟ فبمجرد أن استقرت الأمور بيننا بدا لي وكأن بابًا مغلقًا كان بداخلي ثم انفتح على مصراعيه.

فضحكت في التو ثم قالت:

"أنا تقريبًا أحفظ كل الخطابات التى أرسلها لي"

"وأنا أيضًا ! لكنك كنت دائماً تكتبين خطابات قصيرة."

"لأنك كنت دائمًا تريدها طويلة جدًا."

"وعندما رغبت أن نكتب أكثر عن شيء ما، أبدلتِ موضوع الحوار."

"أنا أُظهر كل ما هو جيد لدي عندما ترى ذيلي، هكذا تقول الهلدرا[٣]."

"آه هكذا ! لكنكِ لم تقولي لي أبداً كيف تخلصتِ من جون هاتلين."

"ضحكت"

"كيف؟"

" ألا تعرف ما الضحك؟"

"نعم أستطيع أن أضحك"

"دعني أرى!"

"من يفعل ذلك دون سبب ؟ بالتأكيد، لابد وأن يكون هناك ما يضحكني."

"أنا لا أحتاج ذلك عندما أكون سعيدة."

"هل أنت سعيدة الآن يا ماريت؟"

"بحق، هل أنا أضحك الآن؟"

---

[٣] الهلدرا: في الفلكلور النرويجى هى امرأة جميلة، ودائما ما ترتدى تنورة زرقاء ومعها سيف أبيض، لكن لسوء الحظ أن لديها ذيل طويل كذيل البقرة الذى تجاهد بلهفة لتغطيته عندما تكون بين الناس. وهى مغرمة بالماشية خاصة ذات البقع البنية وهى لديها منها قطيع جميل ليس لديهم قرون. ولقد كانت تمرح ذات يوم حيث كان الجميع يرغبون في الرقص مع الأنسة الجميلة الغريبة، لكن وقعت عين شاب – في منتصف الحفلة – عندما كان يرقص معها على ذيلها، وعرف على الفور من هى التى يراقصها لكنه لم يخف واستجمع شجاعته ولم يرد أن يكشف أمرها، فقال لها فقط عندما انتهت الرقصة:"أيها الأنسة الجميلة سوف تفقدين رباط جواربك." فاختفت على الفور لكنها أثابت الشاب الصامت الذى يراعى المشاعر بهدايا جميلة وسلالة جيدة من الماشية.

obeikandl.com

"نعم بالطبع تضحكين."
وأخذ يديها الاثنين في يديه وأخذ يصفقهما مراراً وتكراراً وهو يحدق في وجهها، وبدأ الكلب يتذمر هناك، ثم وقف شعره وبدأ في نباحه متوحشاً أكثر وأكثر، ثم أصبح هائجًا في آخر الأمر فانتفضت ماريت في فزع، لكن أويفيند تقدم ونظر بالأسفل وكان والده هو من ينبح عليه الكلب، وكان واقفًا عند سفح الجرف يحدق في الكلب ويداه الاثنتان في جيبه.
"هل أنتما هنا؟ وما هذا الكلب المجنون الذي معكما بالأعلى؟"
فأجاب أويفيند وهو مُحرج بعض الشيء: "إنه كلب الهايديجاردز"
"كيف جاء إلى هنا؟"
فأخرجت الأم رأسها من باب المطبخ عندما سمعت الضجيج المُفزع وعلمت على الفور ماسببه؛ فقالت وهى تضحك:"هذا الكلب يتجول هنا كل يوم، لذا لا يوجد شئ غريب في ذلك."
"حسناً يجب أن أقول إنه كلب مُفترس."
ففكر أويفيند :" سوف يهدأ إذا مسحت على شعره برفق."

ففعل ذلك فتوقف الكلب عن النباح لكنه أخذ يزجر – ومشى الأب وكأنه لا يعرف شيئًا، وأُنقذ الاثنين الموجودين على الجرف من أن يُكتشف سرهما.

قالت ماريت بينما اقترب كل منهما من الآخر ثانيةً: "لم تحدث مشكلة هذة المرة."

"هل تتوقعين أن تسوء الأمور بعد ذلك؟"

"أعرف شخصًا سيراقبنا عن كثب، أعرف ذلك."

"جدك؟"

"نعم، بالطبع."

"لكنه لن يؤذينا."

"لا، أبدًا."

"هل تعدينني بذلك؟"

"نعم، أعدك يا أويفيند."

"كم أنت جميلة يا ماريت !"

"هكذا قال الثعلب للغراب وحصل على قطعة الجبن."

"أنا أقصد الحصول على الجبن أيضًا أؤكد لك."

" لا، لن تحصل عليها."

"لكني سآخذها."

فأدارت رأسها ، لكنه لم يأخذها.
"أريد أن أقول لك شيئاً يا أويفيند" وكانت تنظر من جانب عينيها بينما تتحدث.
"حسناً؟"
" كم أصبحت عطوفـًا! "
" آه ! سوف تعطيني الجبن بأية حال، أليس كذلك؟"
"لا، لن أفعل." وأدارت رأسها مجددًا.
"يجب أن أذهب الآن يا أويفيند."
"سوف أذهب معكِ."
"لكن ليس بعد الغابة، فجدي يمكن أن يراك."
"لا ليس بعد الغابة، أحقـًا! هل تركضين؟"
"نعم فنحن لا نستطيع أن نمشى جنباً إلى جنب هنا."
"لكن هذا ليس الذهاب سويًا."
"أمسك بي، إذًا."
فركضت وركض وراءها وسرعان ما أصبحت بين الشجيرات فأمسك بها.
وقال لها ويده على خصرها: "هل أمسكت بكِ للأبد يا ماريت؟"

فقالت: "أظن ذلك" وضحكت ولكن وجهها احمر وأصبح جادًا.

ففكر أويفيند: "إذن هذا وقتها وقام بحركة كي يقبلها، لكنها أحنت رأسها أسفل ذراعه وضحكت وركضت، ثم توقفت عند الأشجار الأخيرة.

وهمست :" متى سنتقابل مجددًا؟"

فهمس لها :"غدًا، غدًا."

"نعم، غدًا."

"مع السلامة " ثم ركضت.

"ماريت!" فتوقفت. قولى لي أليس غريبًا أننا تقابلنا أول مرة على الجرف؟"

"نعم غريب" ثم ركضت من جديد.

أخذ أويفيند يحدق خلفها طويلاً، وركض الكلب أمامها وهو ينبح، واتبعته ماريت تحاول إسكاته، واستدار أويفيند وخلع قبعته وقذف بها في الهواء ثم أمسكها وقذف بها مجددًا.

فقال الفتى: "الآن أعتقد حقـًا أننى بدأت أصبح سعيدًا" وسار إلى منزله وهو يغني.

الفصل العاشر
♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

وفي عصر أحد أيام الصيف، بينما كانت أمه ومعها فتاة يقلبان التبن، وبينما كان أويفيند وأبوه يحملانه، جاء فتى حافٍ، مكشوف الرأس، يقفز على جانب التل، وقد عبر المروج إلى أويفيند، وأعطاه ورقة مكتوب فيها رسالة.

قال له أويفيند:"أنت تجري جيدًا يا فتى."

فأجاب الفتى:"لقد دُفع لي لأجري هكذا."

وعندما سأل الفتى أويفيند إذا ما كان سيجيب على الرسالة، قال: لا، فانطلق الفتى عائدًا عبر الجرف، لأن أحدهم كان آتيًا خلفه على الطريق، كما قال، وفتح أويفيند الورقة بصعوبة؛

فلقد كانت مطوية، ثم مربوطة بشريط ثم مختومة، ثم وضعَ عليها طابع، ولقد كان مكتوبًا في الورقة:

"إنه آتٍ إليك الآن، لكنه يسير ببطء، اركض إلى الغابة واختبيء! إنه الشخص الذي تعرفه."

ففكر أويفيند:"لن أفعل هذا" وأخذ يحدق في التل بتحدٍ، ولم ينتظر طويلاً، حتى ظهر شيخ كبير عى قمة التل، ووقف ليستريح، ثم مشى قليلاً، ثم استراح مجددًا، ووقف كلٌّ من "ثور" وزوجته ينظرا، وسرعان ما ابتسم "ثور"، لكن لون زوجته تغير.

-" هل تعرفينه؟"

-"نعم، ليس سهلاً أن تخطيء هذا."

وبدأ الأب والابن يحملان التبن مجددًا، لكن الأخيرحرص أن يبقيا مع بعضهما البعض، واقترب الشيخ الذي كان على التل ببطء، كريح غربية ثقيلة، كان طويلاً جدًا، يميل إلى البدانة، وكان ويمشي مشية متثاقلة مستندًا على عكاز، اقترب بشدة

حتى إنهم أصبحوا يستطيعون رؤيته بدقة، ثم توقف الرجل وخلع قبعته، ومسح العرق بمنديل، وكان أصلع الشعر، مستدير الوجه، ذلك الوجه المليء بالتجاعيد، له عينان صغيرتان لامعتان، وحاجبان كثيفان، لم يفقد أيًا من أسنانه بعد، وعندما تحدث كان صوته حادًا ومحشرجًا، وكأن صوته يقفز على حصواتٍ وأحجار، لكنه كان يشد على حرف الراء هنا وهناك برضا بالغ، وهو يدحرج الراء عدة ياردات إلى الأمام، وكانت نبرة صوته تقفز قفزات ضخمة.

كان هذا الرجل معروفًا في شبابه بالحيوية، لكنه كان سريع الانفعال، أما في شيخوخته- وبسبب الكثير من الشدائد- أصبح سريع وشديد الغضب، كثير الشك.

ذهب "ثور" وابنه وجاءا عدة مرات قبل أن يصل إليهم أوليه، وكان كلاهما يعلم أنه لم يأتِ لغرض فيه خير، وكان عليهما أن يسيرا بجدية ويتحدثا هامسين، لكن هذا الأمر أصبح مضحكًا؛ لأنه لم ينتهِ، وفي مثل هذه الظروف، فإن نصف كلمة فقط تكفي لإثارة الضحك، خاصة عندما يكون الضحك خطرًا، وعندما أصبح أوليه أخيرًا على بعد خطوات، بدت وكأنها لا تنقص، فقال أويفيند ببرود وبصوت خفيض:

"لابد وأن هذا الرجل يحمل حملاً ثقيلاً، ولم يتطلب الأمر أكثر من ذلك، فهمس الأب:" أظنك لست حكيمًا كفاية"، رغم أنه نفسه كان يضحك.

فقال أوليه وهو يسعل على التل:" إ ح م إ ح م"

فهمس "ثور":" إنه يجهّز حنجرته."

فوقع أويفيند على ركبتيه أمام كومة التبن، ودفن رأسه فيها، وأخذ يضحك، ثم انحنى أبوه هو الآخر.

وهمس الأب:" فلندخل للحظيرة"، ثم انطلق وأخذ حفنة من التبن، وأمسك أويفيند أيضًا بحفنة من التبن، وأسرع خلف أبيه، وظهره محني من الضحك، وسقط بمجرد أن دخل الحظيرة، وكان أبوه رجلاً رزينًا، لكنه إن وقع في الضحك مرة، فإن الأمر يبدأ معه بضحك خافت يتخلله "هاهاها" أحيانـًا، ثم يطول تدريجيًا إلى أن يمتزج كل شيء جلجلة مدوية، يأتي بعدها موجات وموجات من الشهقات بين كل جلجلة وأخرى، وكان الآن في طريقه لذلك، فالابن واقع على الأرض، والأب واقف إلى جانبه، يضحكان من قلبهما، وقد كانت تباغتهم نوبات الضحك هذه أحيانًا.

قال الأب:"لكن هذا لايصح"

وفي آخر الأمر أصبحا في حيرة من أمرهما؛ كيف سينتهي هذا الأمر، فلابد وأن الرجل العجوز قد وصل إلى المزرعة.

فقال الأب:" أنا لن أخرج، فليس لي شأن معه."

فأجاب أويفيند:" حسنًا إذًا، ولن أخرج أنا أيضًا."

ثم سمعا:"إ ح م إ ح م" خارج حائط الحظيرة بالضبط.

فهدد الأب ابنه مشيرًا بسبابته قائلاً:

"هيا، أنا سآتي معك."

"نعم، اذهب أنت أولاً."

-"لا، اذهب أنت في الحال"

-" حسنًا، اذهب أنت أولاً."

ثم نفضا الغبار عن بعضهما، وتقدما إلى الخارج في منتهى الجدية، وعندما وصلا إلى جسر الحظيرة شاهدا " أوليه" واقفًا ووجهه إلى باب المطبخ، وكأنه يتأمل، وكان ممسكًا بقبعته باليد نفسها التي كان يمسك بها العكاز، وكان يمسح العرق عن رأسه الصلعاء بمنديله، وظل أويفيند ملتصقًا بأبيه من الخلف حتى استحال على الأب أن يقف ثابتًا في مكانه، ولكي يضع نهاية لهذا الأمر قال برزانة بالغة:

"هل أنت خارج للتمشية؟"

فاستدار "أوليه" ونظر إليه بحدة وارتدى قيعته وأجاب:

"نعم يبدو كذلك."

"ربما تكون مرهقـًا، ألا تدخل؟"

"لا، يمكنني أن أستريح هنا فمهمتي لن تطول."

فوارب أحد باب المطبخ ونظر من خلاله، وكان "أوليه" واقفـًا في المنتصف بين الباب وبين و"ثور"، وكانت حافة قبعة "أوليه" على عينيه؛ فلقد أصبحت القبعة واسعة جدًا الآن بعد أن فقد شعره، ولكي يتمكن "أوليه" من الرؤية كان يلقي برأسه إلى الخلف جدًا، كان "أوليه" ممسكـًا بالعكاز بيده اليمنى بينما كانت اليسرى موضوعة في خصره وذلك حين لا يشير بها، وما كانت هذه الإشارة إلا أن يبسط ذراعه ويثبتها للحظة كحفاظ على كرامته.

ثم بدأ في التحدث فجأة: "هل الذي يقف خلفك هو ابنك؟"

:"هكذا يقولون."

:"اسمه أويفيند أليس كذلك؟"

:"نعم، يدعونه أويفيند."

:"وأظن أنه التحق بإحدى المدارس الزراعية بالجنوب."

:"نعم، شيء من هذا القبيل."

:"حسنًا، إن حفيدتي ماريت قد أصابها الجنون مؤخرًا."

:"هذا سيئ للغاية."

:"إنها ترفض الزواج."

:"حسنًا، حقـًا؟"

:"إنها لا تريد أن تتزوج أيًّا من فتيان المزرعة الذين يتقدموا إليها."

:"آه، بالطبع."

:"لكن الناس يقولون إن من عليه اللوم هذا الذي يقف هناك."

:"هل الأمر كذلك؟"

:" يقال إنه خدعها، نعم هو، أويفيند ابنك."

:"أحقـًا، فعل ذلك؟"

:"هل ترى، أنا لا أحب أن يأخذ أحد أيًّا من جيادي عندما أتركها طليقة في الجبال، ولا أسمح لأي أحد أن يأخذ بناتي عندما يذهبن لحفلة راقصة، لن أسمح بذلك."

:"لا، بالطبع لا."

:"أنا لا أستطيع الذهاب معهن، فأنا كبير في السن، ولا أستطيع أن أراقبهن إلى الأبد."

:"لا، لا! لا، لا!"

:"نعم، هل ترى، فأنا أحب النظام والأدب، يجب أن يبنى السد هناك، ويجب أن يبقى الفأس هناك، وهناك السكين، ويجب أن يمسحوا الأرض هناك، ويلقوا بالقمامة هناك؛ ليس خارج الباب بل هناك في الركن، هناك بالضبط، نعم وليس في مكان آخر؛ لذا عندما أقول لها ليس هذا الشخص بل ذاك؛ فأنا أتوقع أن يكون ذاك الشخص وليس هذا!"

:"بالتأكيد."

:"لكن الأمر لم يصبح هكذا، فلقد أصرت على معارضتي لثلاث سنوات الآن، ولمدة ثلاث سنوات، أصبحنا لسنا سعيدين معًا، هذا سيئ، إن كان هو وراء هذا الأمر فسأقول له وأنت تسمع ذلك، إن هذا لن يفيد بأي شيء، ويجب أن يتنازل عنها."

:"نعم، نعم"

فنظر "أوليه" إلى "ثور" للحظة ثم قال:

"إن إجابتك قصيرة."

:"إن السجق ليس أطول من ذلك."

وهنا لم يتمالك أويفيند نفسه من الضحك، بالرغم من أنه لم يكن في حال مزاجية تسمح بالضحك، لكن مع الأشخاص الجريئين يجاور الضحك الخوف ويلازمه، ومال الأمر الآن إلى الضحك."

فسأل "أوليه" بسرعة وبحدة: "علامَ تضحك؟"

: "أنا"

: "هل تضحك عليَّ؟"

: "لا سمح الله."

لكن الإجابة التي أجابها بنفسه زادت من رغبته في الضحك."

فرأى "أوليه" هذا الأمر واستشاط غضبًا، فحاول كلٌّ من أويفيند وثور أن يصلحا ما فعلاه بأن يرسما الوجوه الجادة ويستجديان الرجل بأن يدخل معهما، لكنه كان الغضب المكبوت طيلة ثلاث سنوات هذا الذي كان يسعى للانفجار الآن ولم يكن شيء ليكبحه.

وبدأ "أوليه" يقول: "لا تظن أنك ستجعل مني أضحوكة، فرسالتي في منتهى الشرعية؛ فأنا أحمي سعادة حفيدتي كما أراها، ولن يمنعني ضحك أحمق من ذلك، فالمرء لا يربي الفتيات كي يلقي بهن لمنزل أول قادم يفتح بابه، كما أن المرء لا يرعى عزبته أربعين عامًا، ثم يسلم كل شيء لأول شخص يجعل من الفتاة لعبة في يده، فابنتي جعلت من نفسها أضحوكة حتى يُسمح لها بأن تتزوج من متشرد، وهذا المتشرد أودى بحياته وحياتها إلى القبر، وكان عليّ أن آخذ الطفلة أدفع ثمن ما فعلوه، لكن أقسم بشرفي لن يتكرر هذا الأمر مع

حفيدتي، والآن أنت تعرف رأيي، أقول لك إنه كما أنا متأكد من اسمي "أوليه نورديستوين هايديجاردز" أني متأكد أن القس سيعلن عودة أفراد "الهلدرا" من فوق في الغابة النرويجية على أن يعلن اسمك أنت وماريت زوجًا وزوجة من منبره أيها المهرج! هل تظن أنك ستطرد الخُطاب المناسبين عن مزرعتي حقـًا؟ حسنًا، حاول فقط أن تذهب إلى هناك، وسوف تحصل على رحلة أسفل التلال حتى يتبخر حذاؤك منك، أيها الثعلب الذي يضحك، أظن أنك تعتقد أني لا أعرف ما تفكر فيه أنت وهي، نعم، أتظن أن "أوليه نورديستوين" العجوز سيموت ويصبح وجهه ناظرًا إلى السماء هناك في فناء الكنيسة، وتسيران أنتما إلى الداخل لتتزوجا؟ لا، لقد عشت ستة وستين عامًا، وسأثبت لك أيها الفتى أني سأعيش حتى تهلك أنت وهي بسبب هذا الأمر! وأقول لك إنه يمكنك أن تلتصق بالمنزل كالثلج المتساقط لكنك لن ترى ظفر قدمها؛ لأنني سأبعدها عن الأبرشية، سأرسلها إلى حيث تكون بأمان، فلترفرف بجناحيك هنا كغراب ثرثار كما تشاء وتتزوج المطر والريح الشمالية، هذا كل ما أردت أن أقول لك، والآن أنت أبوه تعرف رأيي وإذا كنت ترغب في مصلحته ؛ فمن الأفضل أن تنصحه بأن يقود مياهه حيث تجد مجراها، لكن عبر ممتلكاتي ممنوع."

ثم استدار بخطى قصيرة وسريعة، رافعًا قدمه اليمنى أكثر من اليسرى، وأخذ يتذمر بينه وبين نفسه.

وأصبح الذين تركهم "أوليه" خلفه جادين تمامًا، فلقد امتزج نذير شر بهزلهم وضحكهم ، وبدا المنزل لبرهة وكأنه خال، وكأن سكانه قد أصابهم الرعب إثر شيء مخيف فهجروه، ونظرت الأم بقلق إلى عين أويفيند؛ فلقد سمعت كل شيء من وراء باب المطبخ، وهي بالكاد تستطيع أن تحبس دموعها، لكنها لم تتفوه بكلمة واحدة؛ حتى لا تصعب الأمر عليه، وبعد أن دخلوا جميعهم إلى المنزل في صمت، جلس الأب بجانب النافذة والجدية الشديدة ترتسم على وجهه، وأخذ يحدق في "أوليه" وهو سائر، وتعلقت عينا أويفيند بأقل تغيير في وجه أبيه، فلقد كان مستقبل الشابين الصغيرين يعتمد على أول كلمات سينطق بها أبوه؛ فإذا رفض "ثور كما رفض "أوليه" لن يستطيعا أن يتغلبا على الوضع، وأخذت أفكار أويفيند تتدفق مرتعدة من عقبة إلى عقبة، وللحظة لم يرَ أمامه سوى الفقر واعتراض طريقه، وسوء الفهم، وشعور بأن شرفه قد جُرح، وكل سند يحاول أن يمسك به بدا وكأنه ينزلق منه، ولقد زاد من ارتباكه أن أمه كانت واقفة ويدها على مزلاج باب المطبخ غير متأكدة إذا ما كانت لديها

الشجاعة لتبقى بالداخل وتنتظر ما سيحدث، ثم فقدت أعصابها في آخر الأمر وخرجت مسرعة.

وأخذ أويفيند يحدق في أبيه الذي لم يحول عينيه عن النافذة، ولم يجرؤ الابن على التحدث، فيجب أن يأخذ الأب وقته في التفكير في الأمر بأكمله، لكن روحه في الوقت نفسه قد مرت بكل الاضطراب الذي يمكن أن تمر به واستعادت توازنها من جديد، ففكر بينه وبين نفسه: "لن يستطيع أحد أن يفرقنا إلا الرب." بينما نظر إلى جبهة أبيه ذات التجاعيد، وبعد أن فكر أويفيند هكذا أخذ ثور نفسًا عميقًا ونهض وألقى نظرة على الغرفة، وتقابلت نظرته مع نظرة أويفيند فتوقف ونظر إليه طويلاً.

وقال: "لقد كانت رغبتي هي أن تتنازل عنها؛ لأن المرء يجب أن يشك في إذا ما كان سينجح خلال التوسلات والتهديدات، لكنك إذا ما عزمت على ألا تتنازل عنهايجب أن تخبرني حينما تأتي الفرصة، ربما أتمكن من مساعدتك.

ثم ذهب إلى عمله وتبعه ابنه.

لكن أويفيند قام بوضع خطته هذا المساء، سيجاهد كي يصبح مزارع المقاطعة ويطلب من المفتش والمعلم مساعدته.

: "إن استطاعت فقط أن تصمد – بمساعدة الرب- فسوف أفوز بها من خلال عملي."

وانتظر ماريت هذا المساء دون جدوى، لكنه بينما كان سائرًا كان يغني أغنيته المفضلة:
ارفع رأسك عاليًا، أيها الفتى المتلهف!
فالزمن يمكن أن يحطم أمل أو اثنين
ورغم ذلك سيضيء نور في عينيك
نور يضيء فوقك!

ارفع رأسك عاليًا وتأمل
ستجد شيئًا قادمًا يصيح
يجلب معه آلاف الألسنة
التي تغني أخبار السلام

ارفع رأسك عاليًا، بداخلك أيضًا!
فترتفع قبة زرقاء ضخمة
حيث تعزف أنغام القيثارة

تتأرجح وتبتهج ويرتد صداها

ارفع رأسك عاليًا وغن بصوت عالٍ!
ولا تكبت ما يتبرعم في الربيع
فالقوى التي تثور وتتقد
يجب أن تجد الوقت لتنمو

ارفع رأسك عاليًا، فالتعميد يأخذ
من الأمل الذي ينبثق بالأعلى
وأقواس النور تهبط علينا
وفي كل منها تشع شرارة الحياة.

obeikandl.com

الفصل الحادي عشر
♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

كان ذلك خلال وقت الراحة في الظهيرة، وكان الناس في مزارع الهايديجاردز نائمينن كان التبن منتشرًا في المروج وأمشاط البستان مرصوصة على الأرض، ومجاريف التبن واقفة أسفل جسر الحظيرة، والسرج مخلوع عن الخيل وموضوع بجانبها، أما الخيل فكانت مربوطة على مسافة قريبة، وفيما عدا الخيل وبعض الدجاجات لا يُرى كائن حي في المكان بأكمله.

و كان هناك شق في الجبال الموجودة أعلى المزارع، وكان يمر خلاله الطريق الذي يؤدي إلى سهول الهايديجاردز الخصبة، وعند هذا الشق كان يقف رجل يتفحص السهل بالأسفل وكأنه ينتظر شخص ما، وكانت خلفه بحيرة، والتي كان يتدفق

منها جدول الماء، وجاءه من السهول صياح ونباح، وأخذت الأجراس المعلقة في رقاب الماشية تدق بين الجبال؛ فلقد انتشرت الماشية دون نظام بحثًا عن الماء، وحاول الرعاة والكلاب جاهدين أن يجمعوا الماشية مع بعضها دون جدوى، فلقد جاء البقر يعدو بطريقة غريبة ويسقط لا إراديًا على الأرض، ثم اندفع إلى الماء بخوار مجنون وذيوله واقفة، ووقفوا في الماء وفي كل مرة يحركون فيها رؤوسهم تدق أجراسهم وتُسمع عبر البحيرة، وشرب الكلاب القليل من الماء لكن انتظروا على الأرض الصلبة واتبعهم الرعاة الذين جلسوا على جانب التل الدافيء، وهنا أخرج الرعاة عُلب طعامهم وأخذوا يتبادلون الطعام مع بعضهم ويتفاخرون بكلابهم وثيرانهم وعائلاتهم، ثم خلعوا ملابسهم وقفزوا إلى الماء مع البقر، وأصرت الكلاب على عدم نزول الماء، لكن أخذوا يتلكئون بكسلٍ برؤوسهم عالية وعيونهم الحادة وألسنتهم المتدلية، ولم يُرى عصفور واحد عند المنحدرات، ولم يُسمع صوت أحد سوى ثرثرة الأطفال ورنين أجراس البقر، وكان نبات الخلنج ظمآن وجافًا، والشمس تلهب جوانب التلال، وكل شيء قد استشاط من حرارتها.

كان أويفيند هو الشخص الجالس هناك بالأعلى أسفل شمس الظهيرة ينتظر، كان مرتديًا قميصًا، ويجلس بالقرب من جدول الماء الذي يتدفق من البحيرة، وحتى الآن لم يظهر أحد في سهول الهايديجاردز، وكان أويفيند على وشك الشعور بالقلق حين أتى الكلب فجأة بخطواته المتثاقلة خارجًا من باب منزل نورديستوين تتبعه فتاة ترتدي فستانًا أبيض اللون، وسارت عبر المرج إلى الجرف بخطا رشيقة، برغبة في أن يناديها لكنه لم يجرؤ، وأخذ يتفحص المزرعة ليرى إذا ما كان من الممكن أن يخرج أحد ويراها لكن بدا له أنه لا يوجد خطر من أن يكتشف أحد أمرهما، ونهض عدة مرات من قلة صبره.

ووصلت ماريت أخيرًا تتبع ممشى بجانب جدول الماء والكلب يسبقها بمسافة قليلة يتشمم الهواء، وهي تمسك بالشجيرات القصيرة وتتثاقل خطواتها أكثر وأكثر، وقفز أويفيند إلى أسفل، فزمجر الكلب، فتم إسكاته، لكن بمجرد أن رأت ماريت أويفيند آتيًا جلست، على صخرة كبيرة حمراء كالدم، متعبة ومنهكة إثر الحرارة الشديدة وألقى أويفيند بنفسه على الصخرة إلى جانبها:

"شكرًا لأنكِ أتيتِ".

-"ما كل هذا الحر وما كل هذه المسافة! هل انتظرت طويلاً؟"

-"لا، وبما أننا تحت المراقبة في المساء فيجب أن نستغل الظهيرة، لكني أعتقد أننا لن نضطر إلى التصرف بهذه السرية بعد الآن، ولا أن نأخذ كل هذا الحذر وهذا بالضبط ما أردت التحدث معكِ عنه."

-"ليس بهذه السرية؟"

-"أنا أعلم جيدًا أن كل ما نفعله في السر يسعدك أكثر لكن إظهار الشجاعة يسعدك أيضًا، ولقد أتيت اليوم لكي أتحدث معكِ حديثًا طويلاً والآن يجب أن تستمعي إليّ."

-"هل صحيح أنك تحاول أن تصبح مزارع المقاطعة؟"

-"نعم، وأتوقع أن أنجح، ولي غرضان في هذا الأمر: الأول هو أن أثبت نفسي في هذه المكانة لكن ثانيًا والأهم هو أن أحقق شيئًا يستطيع جدك أن يراه ويفهمه، ولحسن الحظ أن معظم ملاك المزارع هنا شباب صغار يرغبون في تحسين أحوال مزارعهم، ويحتاجون المساعدة كما أن لديهم المال لذا سوف أبدأ معهم وسوف أنظم لهم كل شيء بدءًا من إسطبلاتهم إلى

أنابيب الري الخاصة بهم، وسوف أعطي المحاضرات وأعمل بكدّ، ولسوف أحاصر الرجل العجوز بالأعمال الطيبة.”

-“هذه شجاعة منك. ماذا بعد ذلك يا أويفيند؟”

-“الباقي يخصنا نحن الاثنين ببساطة، يجب عليكِ ألا ترحلي عن هنا.”

-“حتى لو أمرني؟”

-“ولا تخفي في السر أي شيء يخصنا.”

-“حتى لو عذبني؟”

-“نحن نكسب أكثر ونستطيع أن ندافع عن أنفسنا أكثر إذا سمحنا لكل شيء أن يظهر في العلن، يجب أن نجتهد في أن نظهر أمام أعين الناس دومًا، حتى يضطروا إلى التحدث باستمرار عن حبنا لبعضنا وعن قريب سوف يتمنوا لنا أن تسير معنا الأمور بشكل جيد، ويجب ألا تتركِ المنزل، فهناك خطر القيل والقال بين الأحباء الذين يفترقون، ونحن لا نكترث لأي كلام تافه في السنة الأولى لكننا نبدأ في تصديقه تدريجيًا في السنة الثانية، سوف نتقابل نحن الاثنان مرة في الأسبوع ونضحك على كل المشاكل التي يرغب الناس في إحداثها بيننا، ويجب أن نستطيع أن نتقابل في حفلة راقصة من حين لآخر ونرقص معًا؛ حتى يغني كل شيء عنا بينما يجلس من حولنا

هؤلاء الذين يغتابوننا، ينبغي أن نتقابل في الكنيسة ونحيي بعضنا البعض حتى يغتاظ كل من يتمنى أن نفترق عن بعضنا مئات الأميال، وإذا ألّف أحد أغنية تهجونا فسوف نجلس معًا لنؤلف أغنية ترد عليها. ولسوف ننجح إذا ساعدنا بعضنا البعض، ولن يستطيع أحد أن يؤذينا إن بقينا معًا وأظهرنا للناس أننا باقين معًا، فكل الحب التعيس الذي لم ينجح ينتمي إما إلى أناس جبناء أو ضعفاء أو مرضى أو حريصين يظلون في انتظار الفرصة الملائمة، أو أناس لئام يتألمون في النهاية بسبب لؤمهم، أو ماديين لا يهتمون لأمر بعضهم البعض لدرجة أن ينسوا فرق المستوى الاجتماعي، فيذهبوا ويختبئوا عن أعين الناس ويرسلوا إلى بعضهم الخطابات ويرتجفوا من أقل كلمة وبالنهاية لا يكون الأمر معهم سوى أنهم حسبوا الخوف –هذا الارتباك و إثارة الدم- حبًا ويصبحوا تعساء ويذوبوا كالسكر. تبًا! إذا كانوا يحبون بعضهم بحق فلن يشعروا بالخوف وسوف يضحكون ويسيرون إلى باب الكنيسة معًا جهرًا في وجه كل ابتسامة خبيثة وكل كلمة، لقد قرأت عن ذلك في الكتب ورأيته بنفسي، هذا الحب الذي يختار أن يعيش في السر حب مزري مثير للشفقة، فالحب يبدأ في السر لأنه يبدأ في خجل، لكنه لابد وأن يحيا في العلن لأنه يستمر في سعادة، تمامًا مثلما تتغير أوراق الأشجار، فهذه الورقة التي تكبر لا تستطيع أن

تخبيء نفسها، وفي كل لحظة نرى أن كل ما قد جفّ يسقط من الشجرة في اللحظة التي تنبت فيها الأوراق الجديدة، و الذي يكتسب الحب يتخلى عن كل الهراء الذي كان يتمسّك به في السابق، انتبهي يا فتاتي إنهم سوف يسعدون لرؤيتنا سعداء، فاثنان مرتبطان، ومازالا مخلصين لبعضهما يمنحون الناس شيئًا عظيمًا؛ فهم يورّثون لهم قصيدة يحفظها الأطفال عن ظهر قلب ليخجل الآباء الذين لا يؤمنون بالحب من أنفسهم، ولقد قرأت عن حالات كثيرة مثل هذه، يبقى بعضها حيًا في ذاكرة الناس في هذه الأبرشية، وهؤلاء الذين يحكون هذه القصص ويتأثرون بها هم أبناء الأشخاص أنفسهم الذين تسببوا في كل المشاكل في الماضي، نعم يا ماريت، فالآن سوف نوحّد أيدينا معًا، وسوف نعد بعضنا بأن نتمسك ببعضنا البعض وسوف تصبح الأمور على ما يرام. هيييه!"

وكان على وشك أن يمسك بيدها لكنها استدارت وانزلقت من فوق الصخرة.

وظل هو جالسًا في مكانه وعادت هي واتكأت بذراعيها على ركبتيه وأخذت تتحدث معه وهي تنظر إليه في وجهه:

"اسمع يا أويفيند، ماذا لو صمم على أن أرحل من المنزل، ماذا إذًا؟"

-"حينها يجب أن تقولي لا على الفور."

-"آه يا إلهي! كيف يمكن ذلك؟"

-"إنه لا يستطيع أن يحملكِ إلى العربة."

-"إذا لم يفعل ذلك؛ فهو يستطيع أن يجبرني بطرق أخرى كثيرة."

-"أنا لا أصدق هذا، فبالتأكيد يجب عليكِ طاعته، طالما لم يأمركِ بمعصية لكن واجبك أيضًا أن تجعليه يفهم كليةً كيف أنه يصعب عليكِ الطاعة هذه المرة، وأنا متأكد أنه سوف يغير رأيه عندما يرى هذا، فهو يظن الآن مثل معظم الناس أن الأمر لا يتعدى لعب الصبيان، فاثبتي له أن الأمر أكبر من ذلك."

-"إنه ليس الشخص الذي تعبث معه، أؤكد لك، فهو يراقبني كما لو أنني معزة مربوطة بحبل."

-"لكنك تجذبين الحبل عدة مرات في اليوم."

-"هذا ليس صحيحًا."

-"بلى تفعلين، فكل مرة تفكرين فيّ في السر تجذبين فيها الحبل."

-"نعم إذا كان الأمر هكذا، لكن هل أنت متأكد جدًا هكذا أنني أفكر فيك دومًا؟"

-‘‘لولا ذلك لما كنتِ جالسة هنا معي الآن.’’
-‘‘حقـًا! يا إلهي! ألم تبعث أنت إليّ كي آتي؟’’
-‘‘لكنك أتيتِ؛ لأن أفكارك قادتكِ إلى هنا.’’
-‘‘لا بل لأن الجو جميل جدًا.’’
-‘‘لقد قلتِ منذ قليل أن الجو حار جدًا.’’
-‘‘لصعود..التل..نعم، لكن..النزول..مجددًا...’’
-‘‘لماذا صعدتِ إذن؟’’
-‘‘حتى أنزل مجددًا.’’
-‘‘لماذا لم تنزلِ حتى الآن؟’’
-‘‘لأنه كان يجب أن أستريح.’’
-‘‘وتتحدثين معي عن الحب؟’’
-‘‘كان أمرًا سهلاً أن أمنحك شرف أن أستمع إليك.’’
-‘‘بينما تغرد الطيور.’’
-‘‘والآخرون نائمون.’’
-‘‘والأجراس تدق.’’
-‘‘في البستان الظليل.’’

وهنا رأى اثناهما جد ماريت آتيًا يتمشى في المزرعة، ويذهب إلى حبل الجرس كي يدق الجرس ليوقظ عمال المزرعة، ثم جاء

العمال ببطء من الحظائر والسقائف والبيوت، ومشوا بتثاقل إلى الخيول وأمشاط البستان، وانتشروا في المروج وأصبح المكان مليء بالحياة والعمل من جديد، وكان الجد يدخل ويخرج من المنازل، ثم وقف على أعلى جسر حظيرة ونظر فأتاه صبي صغير راكضًا، لابد وأنه قد ناداه، ثم انطلق الصبي باتجاه بلادسِن، وفي هذه الأثناء أخذ الجد يتحرك في المزرعة غالبًا ما ينظر إلى أعلى وهو يشُكّ أن هذه البقعة السوداء الموجودة على "الصخرة العملاقة" ما هي إلا ماريت وأويفيند، والآن كان كلب ماريت هو السبب في المشكلة للمرة الثانية؛ فلقد رأى حصانًا غريبًا داخلاً المزرعة وإيمانًا منه أنه هكذا يقوم بواجبه أخذ ينبح بكل ما أوتي من قوة، وحاول الاثنان إسكاته لكنه كان قد غضب بالفعل ولن يهدأ، فوقف الجد بالأسفل يحدق، لكن ساءت الأمور أكثر من ذلك؛ فكل كلاب رعاة الماشية سمعت الصوت الغريب وأخذت تركض إلى أعلى، وعندما رأوا أنه كلب "وولف" عملاق اجتمعت عليه كل الكلاب الصغيرة التي كان قد وقف شعرها، وخافت ماريت بشدة حتى أنها ركضت دون أن تودّع أويفيند، ثم اندفع أويفيند إلى خضم المعركة وأخذ يركل ويضرب، لكن غيرت الكلاب أرض المعركة، ثم أخذوا يتكالبون على بعضهم البعض بنباح بشع فجرى أويفيند وراءهم مجددًا، وظلت الكلاب هكذا حتى تدحرجوا

إلى حافة جدول الماء، وكانت نتيجة ذلك أن انقلبوا جميعًا في الماء –في مكان عميق- وافترقوا هناك وهم يشعرون بالخزي، وهكذا انتهت المعركة وسار أويفيند خلال الغابة حتى وصل إلى الطريق، لكن ماريت قابلت جدها عند السياج، وكان هذا خطأ الكلب.

-‘‘من أين أنتِ آتية؟’’

-‘‘من الغابة.’’

-‘‘ماذا كنتِ تفعلين هناك؟’’

-‘‘أقطف التوت.’’

-‘‘هذا ليس صحيحًا.’’

-‘‘لا ليس صحيحًا.’’

-‘‘ماذا كنتِ تفعلين إذن؟’’

-‘‘كنت أتحدث مع شخص.’’

-‘‘هل هو الفتى بلادسِن؟’’

-‘‘نعم.’’

-‘‘اسمعيني الآن يا ماريت غدًا سوف ترحلين عن المنزل.’’

-‘‘لا’’.

-‘‘استمعي إليّ يا ماريت، فأنا لديّ شيء واحد لأقوله لكِ: أنتِ....يجب....أن تذهبي.’’

-"أنت لا تستطيع أن تحملني إلى العربة."

-"حقـًا؟ لا أستطيع؟"

-"لا، لأنك لن تفعل."

-"لن أفعل؟ اسمعي الآن يا ماريت، باختصار –هل ترين- باختصار سوف أقول لكِ أنني سوف أسحق عظام هذا الولد الحقير."

-"لا لن تجرؤ على فعل ذلك."

-"لن أجرؤ؟ هل تقولين أنني لن أجرؤ؟ من سيتدخل؟ مَن؟"

-"المعلم."

-"ال..مع..لم. هل يشغل المعلم نفسه بهذا الولد؟ هل تظنين هذا؟"

-"نعم، فهو مَن ساعده على دخول المدرسة الزراعية."

-"المعلم؟"

-"المعلم."

-"إسمعي الآن، فأنا لن أتحمل هذا الهراء أكثر من ذلك، وأنتِ سوف تتركين الأبرشية، فأنت الآن لا تسببي لي سوى المشاكل والأسى ولقد كان هذا هو الحال مع أمك أيضًا لا شيء سوى المشاكل والأسى، وأنا الآن عجوز وأريد أن أؤمّن لكي مستقبلك، و لن أجعل من نفسي أضحوكة بين الناس بسبب هذا الأمر،

يجب أن تفهمي يا ماريت أني لا أرغب سوى في مصلحتك؛ فأنا سوف أموت قريبًا وستصبحين وحدك، ماذا كان سيحدث لأمك لو أني لم أكن موجودًا؟ إسمعي، كوني عاقلة وانتبهي لما سأقول، فأنا أريد مصلحتك.''

-''لا، ليس صحيحًا.''

-''حقـًا؟ ما الذي أريده إذًا؟''

-''أن أحقق رغبتك، هذا ما تريده، لكنك لا تسأل عن رغبتي أنا.''

''وهل لديكِ رغبة أيها العصفورة الصغيرة؟ هل تظنين أنكِ تعرفين ما هو في مصلحتك يا حمقاء؟ أنا سوف أذيقك العصا رغم أنكِ قد كبرتِ، إسمعيني يا ماريت دعيني أتحدث معكِ بلطف، أنتِ لستِ سيئة لكنكِ فقدتِ عقلك، لذا يجب أن تستمعي إليّ فأنا رجل عجوز وعاقل، سوف نتحدث بلطف معًا؛ فأنا لم أدخر مالاً كثيرًا كما يظن الناس، فأي عصفور صغير يستطيع أن يطير بالقليل الذي عندي، فلقد أفسد أبوكِ كل شيء، فلنهتم ببعضنا البعض في هذه الدنيا، هذا أفضل شيء نستطيع فعله، إنه لسهلٌ على المعلم أن يتحدث ويعظ فهو لديه المال والقِس أيضًا مثله، اتركيهم يعطوا المواعظ، لكن الأمر يختلف معنا نحن مَن علينا أن نكدّ من أجل قوت يومنا،

أنا كبير في السن الآن وأعلم الكثير ولقد رأيتُ الكثير، والحب أمر جيد جدًا أن نتحدث عنه لكنه لا يستحق العناء، فهو يمكن أن يجدي نفعًا مع القساوسة وهؤلاء الناس، لكن يجب على الفلاحين أن ينظروا له برؤية مختلفة، فالطعام أولاً ثم كلمة الرب ثم القليل من الكتابة والحساب ثم في النهاية القليل من الحب إن أتى على الطريق، لكن بحق القديسين لا جدوى من البدء بالحب والانتهاء بالطعام، ماذا تقولين الآن يا ماريت؟

-"لا أعرف."

-"لا تعرفين بمَ تجيبين؟"

-"لا بالطبع أعرف ذلك."

-"حسنـًا، إذًا؟"

-"هل أقوله لك؟"

-"نعم بالطبع قولي."

-"أنا أهتم كثيرًا بحبي."

فوقف مصدومـًا للحظة، يتذكر مئات الحوارات المماثلة التي انتهت بنفس النتائج، ثم هز رأسه واستدار وسار بعيدًا.

ولقد تشاجرمع أحد الخادمين، وسب الفتيات وضرب الكلب الكبير، وكاد أن يقتل دجاجة كانت تسير في الحقل، لكنه لم يقل شيئـًا لماريت.

وكانت ماريت سعيدة جدًا عندما صعدت إلى غرفتها للنوم، حتى إنها فتحت النافذة وظلت واقفة فيها تنظر إلى الخارج وتغني، فلقد وجدت أغنية جميلة عن الحب وغنتها.

"لا تحب أحدًا غيري
فلسوف أحبك دائمًا
بشدة، كل أيامي على الأرض
كانت أيام الصيف قصيرة
والآن تذبل الزهور
لكن تأتي مع الربيع برِقـَة.
ما قلته العام الماضي
لازال يرن في أذني
وأنا جالسة وحدي تمامًا
تحاول أفكارك
أن تحلـِّق في قلبي
وتصوِّر الحياة تطير في ضوء الشمس.

بـ م بـ رم بـ رم
حسنـًا أنا أسمع الفتى
يتنهد خلف شجر البتولا
أنا في رعب
يجب أن تريني الطريق
فالليل يغزل كفنها.

تـ م تـ رم تـ رم
كنت أغني أنا عن قـُبلة
لا أنت مخطيء بالتأكيد
هل سمعتها؟ قـُل
اطرد هذه الفكرة بعيدًا
انظر إليّ كشخص مهجور.

آه تصبحين على خير! تصبحين على خير!
أحلام عن عيون لامعة جدًا
ضمني الآن في أحضان هادئة
لكن تلك الكلمة المخادعة

التي ظننتَ أنها لم تـُسمع
لا تترك فيّ آثارًا للحب.
سوف أغلق نافذتي
لكن في الراحة الهنيئة
أسمع الأغاني منك تعود
وتناديني وهي مبتسمة
فيضللني تفكيري
هل سأظل أتوق إليكَ إلى الأبد؟"

obeikandl.com

الفصل الثاني عشر

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

مضت عدة سنوات من بعد المشهد الأخير.

وكان ذلك في فصل الخريف، يأتي المعلم سائرًا إلى نورديستوين ويفتح الباب الخارجي ولا يجد أحدًا في المنزل، ثم يفتح بابًا آخر ولا يجد أحدًا أيضًا، وظل هكذا حتى وصل إلى آخر غرفة بالمبنى حيث كان أوليه جالسًا وحده بجانب سريره وعينيه مثبتتين على يديه.

يحييه المعلم و يتلقى منه التحية ويجد مقعدًا ويجلس أمام أوليه.

يقول المعلم: "لقد أرسلت إليّ".

"نعم فعلت".

obeikandl.com

ويتناول المعلم مضغة تبغ طازجة ويلقى نظرة على الغرفة ويلتقط كتابًا موجودًا على طاولة ويقلّب في أوراقه.

"ماذا كنت تريد مني؟"

"لقد كنت جالسًا هنا فقط أفكر بالأمر"

ويعطي المعلم لنفسه وقتًا ويبحث عن نظارته ويمسحها ويرتديها حتى يقرأ عنوان الكتاب.

"أنت أصبحت كبيرًا جدًا في السن يا أوليه"

"نعم وهذا هو ما أردت أن أتحدث معك بشأنه، فأنا أتداعى وسوف أنزل إلى قبري قريبًا".

"يجب أن تتأكد من أن تنزل إلى قبرك وأنت مستريح يا أوليه".

ويغلق الكتاب ويجلس ينظر في غلاف الكتاب.

‘‘إن هذا الكتاب الذي بين يديك جيد’’

‘‘إنه ليس سيئ، كم تقدمت من بعد الغلاف يا أوليه؟’’

‘‘أه، مؤخرًا أنا ...’’

فينحي المعلم الكتاب جانبـًا ويخلع نظارته.

‘‘إن الأمور لا تسير كما كنت تبتغي يا أوليه.’’

‘‘لطالما كانت كذلك’’.

‘‘نعم هكذا كان الأمر معي لفترة طويلة، فلقد عشت على خلاف مع صديق عزيز وأردته أن يأتي إليّ، وطيلة هذا الوقت كنت حزينـًا، ثم قررت أخيرًا أن أذهب إليه

وأصبح كل شيء جيدًا معي منذ ذلك الحين’’

فنظر أوليه إلى أعلى ولم يقل شيئـًا.

فسأل المعلم: ‘‘كيف حال المزرعة يا أوليه؟’’

‘‘تخفق، مثلي تمامًا.’’

‘‘إلى من ستؤول بعد وفاتك؟’’

‘‘هذا الذي لا أعرفه وهذا أيضًا ما يقلقني’’.

‘‘إن حال مزارع جيرانك جيدة الآن يا أوليه’’.

‘‘نعم، فقد كان معهم المزارع يساعدهم.’’

فاستدار المعلم بغير اهتمام إلى النافذة وقال: ‘‘أنت تحتاج إلى المساعدة أيضًا يا أوليه؛ فأنت لا تستطيع المشي كثيرًا، ولا تعرف سوى القليل جدًا عن الطرق الحديثة لإدارة المزارع.’’

‘‘لا أظن أن هناك من يساعدني.’’

‘‘وهل طلبت المساعدة؟’’

فيصمت أوليه.

فيقول المعلم: ‘‘أنا نفسي تعاملت مع الرب هكذا لفترة طويلة؛ وقلت له: ‘أنت لست طيب معي’ فسألني: ‘هل دعوت مني أن أكون كذلك؟’ لا، لم أدعو. ثم دعوت بعدها و منذ ذلك الحين وكل شيء أصبح على ما يرام معي’’.

ظل أوليه صامتًا، ثم صمت المعلم أيضًا الآن.

ثم قال أوليه أخيرًا:

‘‘أنا عندي حفيدة، وهي تعلم ماذا سوف يسعدني قبل أن أموت لكنها لا تفعله.’’

فابتسم المعلم وقال:

‘‘ربما ذلك لن يسعدها هي.’’

لم يجب أوليه.

فيقول المعلم: ‘‘هناك أشياء كثيرة تؤرقك لكن كما أفهم أن كل هذه الأشياء تتعلق بالمزرعة’’.

فيقول أوليه بهدوء: ‘‘لقد تم توارثها من جيل إلى جيل والتربة خصبة، وكل هذه الأعوام كدح فيها أب تلو الآخر لكنها الآن لا تزدهر، وحتى الآن لا أعرف من سيتولاها بعد أن أتركها أنا، لن يكون فرد من العائلة.’’

‘‘سوف تحافظ حفيدتك على العائلة.’’

‘‘لكن كيف أن من يأخذها يأخذ المزرعة؟ هذا ما أريد معرفته قبل أن أموت، ليس أمامك الكثير من الوقت يا بآرد لا بالنسبة إليّ ولا بالنسبة إلى المزرعة’’.

ثم صمت الاثنان، وقال المعلم في النهاية:

‘‘هل نتمشى قليلاً بالخارج ونلقي نظرة على المزرعة في هذا الجو الجميل؟’’

‘‘نعم لنفعل ذلك، فأنا لديّ أناس يعملون على المنحدر؛ يجمعون الأوراق، لكنهم لا يعملون سوى عندما أراقبهم بنفسي.’’

وأخذ يترنح باحثًا عن قبعته الكبيرة وعكازه وهو يقول في هذه الأثناء:

‘‘يبدو أنهم لا يحبون العمل عندي، لا أفهم لماذا.’’

وعندما أصبحا خارج المنزل وكانا سينعطفا عند ركنه توقف أوليه وقال:

"انظر هنا فقط، لا نظام، فالخشب ملقى في كل مكان وحتى الفأس ليس مغروزًا في القالب الخشبي".

فانحنى بصعوبة والتقط الفأس وأشار به.

"ها قد وقعت منه قشرة، لكن هل أعادها أحد إلى مكانها من جديد؟"

وفعل ذلك بنفسه.

"و المخزن، هل تظن أن السـُلم موضوع مكانه؟"

ثم وضعه جانبـًا وتوقف وقال وهو ينظر إلى المعلم:

"هكذا هو الوضع كل يوم."

وبينما تقدما إلى أعلى سمعا أغنية سعيدة من المنحدر، فقال المعلم: "ياه! إنهم يغنون و هم يعملون."

"إنه "نَط أوستيستوين" الذي يغني، إنه يساعد أباه في جمع الأوراق، إن عُمالي هم من يعملون هناك، لن تجدهم يغنون."

"هذه ليست أغنية من أغاني الأبرشية، أليس كذلك؟"

"لا".

"لقد ظل أويفيند بلادسِن في أوستيستوين طويلاً، ربما تكن هذه أغنية من الأغاني التي أدخلها على الأبرشية، فإنك تجد الغناء أينما وُجد أويفيند."

ولم تكن هناك إجابة على ذلك.

ولم يكن الحقل الذي كانا يعبرانه بحال جيدة فلقد كان في حاجة إلى من يرعاه، وقد علَّق المعلم على هذا الأمر ثم توقف أوليه حينها.

وقال بشكل مثير للشفقة: ‘‘ليس في استطاعتي فعل ما هو أكثر من ذلك؛ فإن استئجار العمال دون الانتباه لهم يكلف كثيرًا، لكن الأمر شاق جدًا أن تسير في حقل مثل هذا، أؤكد لك.’’

وبما أن حوارهم قد انتقل الآن إلى حجم المزرعة، و أي جزء منها يحتاج إلى الرعاية؛ فقد قررا أن يصعدا المنحدر ليشاهدا المنظر بأكمله. وعندما وصلا أخيرًا إلى مكان مرتفع واستطاعا أن يريا كل شيء تأثّر أوليه العجوز بشدة.

‘‘بالطبع أنا لا أريد أن أتركها بهذه الحال، فلقد تعبنا كثيرًا في هذه الأرض أنا وكل من سبقوني، لكن الآن ليس بها ما يدعو للفخر.’’

ورنت أغنية فوق رؤوسهم مباشرةً، لكن بحدة صوت فتى يغني بكل ما أوتي من قوة. فهما لم يكونا بعيدين عن الشجرة التي يجلس عليها "نَط أوستيستوين" يجمع الأوراق لأبيه، وكانا مرغمين على أن يسمعا الفتى:

"عندما تركض فوق قمم الجبال

كي تمكث وسط المنحدرات الخضراء
لا ترهق نفسك في كتابك
بأكثر ما تستطيع أن تحمله
ولا تأخذ أية عراقيل معك
إلى الينابيع الكريستالية
لكن اغرقها في أغنية مبهجة
وارسلها إلى الجبال بالأسفل.
فالطيور تحييك هناك من الأشجار
والحديث ينتشر في الوادي
ويصبح النسيم ألطف وأهدأ
بينما تندفع أنت إلى أعلى.
املأ رئتيك وطف بالأعلى
وغن دائمًا بهدوء ذكريات الطفولة
التي تجلب المروج والبساتين
ذات الألوان الوردية.
توقف وسط البساتين الظليلة
واسمع الزئير الهائل هنالك
فأغنية الوحدة المهيبة

تحلّق فوق بعيدًا.
وكل لهو الدنيا يتلاشى
عندما تتدحرج حصاة
وكل واجب منسي يهمهم
بثلاثة أضعافه في الغدير.

بينما ترفرف الذكريات الحزينة
في السماء أيها القلب الحبيب
امض: فإنك سوف تكتشف
الجزء الأفضل بالأعلى
فمن اختار المسيح
وموسى ودانيال
يجد السعادة بعيدًا
ويستريح في سلام."
كان أوليه قد جلس وغطى وجهه بيديه.
فقال المعلم: ‘‘سوف أتحدث معك هنا’’ وجلس إلى جانبه.
وفي بلادسِن كان أويفيند قد عاد لتوه من رحلة طويلة إلى حدٍ ما، وكان فتى البريد مازال واقفًا عند الباب كما كان الحصان

يستريح. وبالرغم من أن أويفيند قد أصبح له الآن دخل جيد كمُزارع المقاطعة، كان لا يزال يعيش في غرفته الصغيرة في بلادسِن ويساعد والديه في كل لحظة من أوقات فراغه، ولقد تمت زراعة بلادسِن من أولها إلى آخرها، لكنها كانت صغيرة جدًا حتى إن أويفيند أسماها "مزرعة أمي اللعبة" فلقد كانت هي بالتحديد من يهتم بزراعتها.

غيّر أويفيند ملابسه وجاء أبوه من عند الطاحونة وهو أبيض إثر دقيق القمح وغيّر ملابسه هو الآخر، وأخذا يسيران قليلاً ويتحدثان قبل وجبة العشاء عندما جاءت الأم شاحبة الوجه.

"هناك أشخاص غرباء قادمون إلى المنزل، آه يا إلهي! انظرا!"

فاستدار الرجلين إلى النافذة وكان أويفيند أول من يهتف:

"إنه المعلم، ومعه ... نعم أعتقد أنه ... حقًا إنه هو!"

فقال ثور: "نعم إنه أوليه نورديستوين العجوز" وابتعد عن النافذة حتى لا يُرى فلقد كانا بالقرب من الباب بالفعل.

وبينما كان أويفيند يرحل عن النافذة تلاقت نظرته مع نظرة المعلم، فابتسم بآرد ثم نظر إلى أوليه الذي كان يمشي بصعوبة متكئًا على عكازه في خطوات قصيرة، ويرفع قدمًا أعلى من الأخرى باستمرار. ثم سمعوا المعلم يقول من الخارج: "أظن أنه قد عاد للمنزل لتوه" وهتف أوليه مرتين: "حسنًا، حسنًا!"

وظلا صامتين لوقت طويل في الممر، وكانت الأم قد انسلت إلى الركن حيث رف اللبن، وجلس أويفيند في مكانه المفضل؛ ذلك بأن يميل بظهره على الطاولة الكبيرة ووجهه إلى الباب، وجلس أبوه بالقرب منه، وأخيرًا حدث نقر على الباب، ثم دخل المعلم وخلع قبعته ودخل بعده أوليه الذي خلع قبعته ثم استدار ليغلق الباب، لكن ذلك تتطلب منه وقتًا كثيرًا؛ فمن الواضح أنه كان خجلاً بشدة. ونهض ثور وهو يطلب منهما الجلوس فجلسا جنبًا إلى جنب على مقعد طويل أمام النافذة وجلس ثور ثانيةً .

واستمر الحديث خفيض الصوت كما سنحكيه الآن.

المعلم: ‘‘إن الجو جميل هذا الخريف رغم كل شيء.’’

ثور: ‘‘لقد تحسَّن مؤخرًا.’’

‘‘على الأرجح أنه سيظل لطيفًا بما أن الرياح قد انتهت في هذا الفصل.’’

‘‘هل انتهيت من حصادك لهذا الموسم؟’’

‘‘ليس بعد، فأوليه نورديستوين هنا كما تعلم ليطلب مساعدتك يا أويفيند، إذا كان هذا لن يعطلك عن شيء.’’

أويفيند: ‘‘إذا كانت المساعدة مرغوبة فسأفعل كل ما بوسعي.’’

"حسنـًا، لا داعي للعجلة، فهو يظن أن المزرعة ليست بحال جيدة، ويعتقد أن ما تحتاجه هو نوع الحرث السليم والإشراف الجيد."

أويفيند: "أنا قليلاً ما أتواجد بالمنزل".

ينظر المعلم إلى أوليه، فيشعر الأخير أنه يجب عليه اقتحام النار، فتنحنح مرتين، وبدأ سريعـًا:

"إن الأمر...إنه...نعم. ما كنت أقصده هو أنه ينبغي أن تستقر بطريقة ما...نعم ينبغي...أعني أن تعيش عندي بمنزلي عندما لا تكون مسافرًا."

"أشكرك كثيرًا لعرضك الكريم لكنني أفضِّل أن أبقى هنا حيث أعيش."

فينظر أوليه إلى المعلم الذي يقول:

"إن عقل أوليه يبدو في دوامة اليوم، الحقيقة هي أنه جاء إلى هنا مرة من قبل، وذكرى هذا الأمر تجعله يرتبك وهو يتحدث."

فيرد أوليه بسرعة: "هذا هو الأمر، نعم، لقد ركضت وكأنني مجنون في سباق وجاهدت ضد الفتاة حتى انفلقت الشجرة. لكن لنترك الماضي للماضي؛ فالرياح –وليس الثلج- هي التي تقتلع الحبوب، وجدول الماء لا يشقق الأحجار الكبيرة، والثلج

لا يبقى في الأرض طويلاً في شهر مايو، وليس الرعد من يقتل الناس.”

فضحكوا هم الأربعة ثم قال المعلم:

“يقصد أوليه أنه لا يريد أن يتذكر هذه المرة بعد الآن، ولا أنت أيضًا يا ثور.”

فينظر أوليه إليهم، غير متأكد أنه يجرؤ على البدء مجددًا.

ثم يقول ثور:

“إن الورد البري يمسك بأشواك كثيرة، لكنه لا يسبب الجراح، أما فيّ فلم تتبقى أية أشواك.”

أوليه: “أنا لم أكن أعرف الفتى وقتها، وأنا الآن أرى أن ما يزرعه ينمو ويزدهر، فالحصاد ينبيء بما يعدُ الربيع، وإنه يعرف كيف يجلب المال جيدًا، وأنا أريده معي.”

فينظر أويفيند إلى أبيه الذي ينظر إلى أمه التي تنظر إليهما ثم إلى المعلم، ثم ينظر ثلاثتهم إلى المعلم.

“يظن أوليه أن لديه مزرعة كبيرة ...”

فيقاطعه أوليه: “مزرعة كبيرة لكن لا تُدار جيدًا، وأنا لا أستطيع أن أفعل المزيد؛ فأنا كبير في السن الآن وقدماي تأبيان أن تقوما بالمهمة التي يبتغيها عقلي، لكنها سوف تجلب المال إن رعيناها.”

فيقاطعه المعلم: ‘‘إنها أكبر مزرعة بالأبرشية، وإنها أكبر من أكبر مزرعة بكثير.’’

‘‘أكبر مزرعة بالأبرشية، وهذا هو سوء الحظ فالأحذية الكبيرة جدًا تقع ممن يرتديها، وإنه لشيء جيد أن تكون لديك بندقية جيدة، لكن ينبغي أن يكون المرء قادرًا على حملها’’ ثم قال وهو يستدير إلي أويفيند بسرعة: ‘‘هل ترغب في المساعدة فيها؟’’

‘‘هل تقصد أن أكون مدير المزرعة؟’’

‘‘بالضبط..نعم ..ينبغي أن تحصل على المزرعة.’’

‘‘ينبغي أن..أحصل على.. المزرعة؟’’

‘‘نعم بالضبط..حتى تستطيع إدارتها.’’

‘‘لكن..’’

‘‘ألن تقبل؟’’

‘‘لا بالطبع أقبل’’

‘‘نعم، نعم، نعم، إذن قضي الأمر كما قالت الدجاجة عندما قفزت إلى الماء.’’

‘‘لكن..’’

فينظر أوليه إلى المعلم في حيرة.

‘‘أظن أن أويفيند يسأل إذا ما كان سيحصل على ماريت.’’

فقال أوليه فجأة: ‘‘ماريت ضمن الاتفاق، ماريت ضمن الاتفاق.’’

فانفجر أويفيند في الضحك وقفز إلى أعلى وضحكوا ثلاثتهم، وحك أويفيند يديه وسار قليلاً وأخذ يكرر ‘‘ماريت ضمن الاتفاق، ماريت ضمن الاتفاق.’’ وضحك ثور ضحكة خافتة عميقة، وظلت الأم في الركن وعيناها معلقتان على ابنها إلى أن فاضتا بالدموع.

فقال أوليه بحماس شديد: ‘‘ماذا تظن المزرعة؟’’

‘‘أرض رائعة!’’

‘‘أرض رائعة، أليس كذلك؟’’

‘‘لا يوجد مرعى يضاهيها.’’

‘‘لا يوجد مرعى يضاهيها! يمكن أن يخرج منها شيء رائع؟’’

‘‘سوف تصبح أفضل مزرعة في المقاطعة!’’

‘‘سوف تصبح أفضل مزرعة في المقاطعة! هل تظن ذلك؟ هل تعني ما تقول؟’’

‘‘متأكد كما أني متأكد أني واقف هنا!’’

‘‘أليس ذلك ما قلته لتوي؟’’

وتحدّث الاثنان مع بعضهما البعض بالسرعة نفسها، وكان كلامهما يتوافق مع بعضهما البعض مثل تروس العجلة.

‘‘لكن المال، هل ترى، المال؟ أنا ليس لديّ مال.’’
‘‘سوف نتقدم ببطء من دون المال، لكننا سنتقدم بأية حال!’’
‘‘سوف نتقدم! بالطبع سنفعل! لكن إذا..كان..لدينا المال، سوف نتقدم أسرع كما تقول؟’’
‘‘أسرع بكثير.’’
‘‘بكثير؟ يجب أن نحصل على المال! نعم، نعم يستطيع الإنسان أن يمضغ من دون أسنانه كلها، والذي يقود الثور سوف يتقدم أيضـًا.’’
ووقفت الأم تنظر خلسة إلى ثور الذي نظر إليها عدة مرات من جانب عينيه بسرعة، بينما كان جالسـًا يتأرجح إلى الأمام وإلى الخلف و يضرب على ركبتيه برفق، وغمز له المعلم أيضًا فافترقت شفتا ثور وسعل قليلاً وحاول جاهدًا أن يتحدث، لكن أوليه وأويفيند ظلا يحدثا هذه الجلبة حتى إنه لم يكن ممكنًا سماع شخص آخر.
فقال المعلم: ‘‘يجب أن تصمتا قليلاً؛ فثور يريد أن يقول شيئـًا.’’
فيتوقفا وينظرا إلى ثور الذي يبدأ أخيرًا بنبرة هادئة:
‘‘لقد كان عندنا طاحونة، ومؤخرًا أصبح لدينا اثنتان، وكانتا هاتان الطاحونتان تجلبان نقودًا قليلة أثناء العام، لكن لا أنا

ولا أبي كنا ننفق من هذه النقود سوى عندما سافر أويفيند ليتعلم بالمدرسة الزراعية. ولقد كان المعلم يديرهما ويقول إنهما قد نجحا جيدًا حيث كانا، لكن من الأفضل أن يأخذهما أويفيند الآن إلى نورديستوين".

وانكمشت الأم إلى لا شيء تقريبًا، بينما كانت تحدق بعينين لامعتين في ثور الذي بدا جادًا جدًا وبدا على وجهه تعبير غريب، وكان أوليه نورديستوين جالسًا أمامه تقريبًا وفمه مفتوح عن آخره من الدهشة. وكان أويفيند أول من أفاق من الذهول وانفجر قائلاً:

"ألا يبدو أن الحظ الجيد يحالفني؟!"

وسار إلى والده وضربه على كتفه ضربة سُمع صداها في الغرفة، وصاح: "أنت يا أبي!" وأخذ يحك يديه وهو يسير من جديد.

وسأل أوليه المعلم أخيرًا بصوت خفيض: "كم يكون المال تقريبًا؟"

"ليس بالقليل."

"عدة مئات؟"

"لا أكثر."

"أكثر؟ أويفيند، يقول أكثر! فليساعدنا الرب. كم ستصبح مزرعة رائعة!"

ثم نهض أوليه وهو يضحك بصوت عال.

فقال أويفيند: "يجب أن أذهب معك إلى ماريت، يمكننا أن نستخدم العربة المنتظرة بالخارج حينها لن نستغرق وقتًا طويلاً."

"نعم، في الحال! في الحال! هل أنت أيضًا تريد كل شيء بسرعة؟"

"نعم، بسرعة وبشكل خاطيء."

"بسرعة وبشكل خاطيء! تمامًا كما كنت أفعل عندما كنت صغيرًا."

"ها هي قبعتك وعكازك وأنا سوف أوصلك إلى هناك."

"أنت ستوصلني؟ ها ها ها! لكنك آتٍ معي، أليس كذلك؟ أنت آتٍ معي؟ وأنتم كلكم أيضًا تعالوا معي، فنحن يجب أن نجلس معًا هذا المساء إلى أن تنتطفيء نار المدفأة. هيا تعالوا."

فوعدوه بأنهم سيأتوا، ثم ساعد أويفيند أوليه في ركوب العربة واتجها بها إلى مزرعة نورديستوين، ولم يكن الكلب الكبير هو الوحيد هناك الذي اندهش عندما رأى أوليه نورديستوين آتيًا

إلى المزرعة في عربة مع أويفيند بلادسِن، فبينما كان أويفيند يساعد أوليه في الخروج من العربة، وكان الخادمون و العمال فاغرين أفواههم من الدهشة، خرجت ماريت لترى علامَ ينبح الكلب، لكنها توقفت وكأنها سُحرت فجأة، وأصبح وجهها أحمرَ كالجمر وركضت إلى الداخل، فصرخ أوليه مناديًا عليها بصوت عال جدًا عندما دخل إلى المنزل فخرجت لهم مجددًا.

"اذهبي وتأنَّقي يا فتاة فهذا هو الشخص الذي سيحصل على المزرعة!"

فصاحت دون أن تعي: "هل هذا صحيح؟" وبصوت عال جدًا حتى أن صدى الكلمات رنّ في الغرفة.

فأجاب أويفيند وهو يصفق بيديه: "نعم، صحيح."

فأخذت تدور على أصابع قدميها وتلقي بما في يدها، ثم ركضت إلى الخارج لكن أويفيند اتبعها.

وسرعان ما أتى المعلم ومعه ثور وزوجته، وكان الرجل العجوز قد أمر بأن توضع الشموع على الطاولة التي كان قد وضع عليها مفرشًا أبيض، ووُضع الخمر وظل أوليه يلفّ حول نفسه رافعًا قدميه أكثر مما اعتاد عليه، لكن القدم اليسرى ترتفع دائمًا أكثر من اليمنى.

وقبل أن تنتهي هذه الحكاية الصغيرة يجب أن نقول لكم إن أويفيند وماريت اجتمعا مع بعضهما في كنيسة الأبرشية بعد خمسة أسابيع، ولقد قاد المعلم بنفسه بالغناء في هذه المناسبة؛ لأن مغني الجوقة كان مريضًا، وكان صوت المعلم خشنًا نظرًا لكبر سنه، لكن بدا لأويفيند أن غناءه كان مطمئنًا للقلب. وعندما أخذ أويفيند يد ماريت وقادها إلى القِس أومأ له المعلم برأسه - تمامًا كما رآه أويفيند يفعل في خياله يوم الحفلة الراقصة وهو جالس حزين منذ زمن بعيد- فأومأ له أويفيند برأسه وعيناه تمتلآن بالدموع.

هذه الدموع التي فاضت يوم الحفلة الراقصة كانت التمهيد لتلك التي فاضت في يوم زفافه، وبين هذه وتلك ازداد إيمان أويفيند وعمله.

وهنا تنتهي قصة **الفتىّ السعيد**